جهود علماء ليبيا في نشر علوم الشريعة زمن الموحدين والحفصيين (ق-6-10هـ)

د. أحمد عبد الله محمد إسبيطة
كلية التربية جامعة مصراتة، قسم التاريخ، ليبيا
aboyahya.alalmi@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/23، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
(علماء الشريعة: بناء مؤسسات- كتابة مؤلفات – إلقاء المحاضرات)

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد:
فقد زخرت ليبيا بعلماء أفاضل، كان لهم الفضل في الإشعاع الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المحددة للدراسة؛ ولهذا آليت على نفسي محاولا أن أبدل جهدي المتواضع في أن أبرز بعضاً من مثالبهم فيما بذلوه من جهد في نشر علوم الشريعة، فاخترت أن أبرزها بهذا العنوان الموسوم**" جهود علماء ليبيا في نشر علوم الشريعة زمن الموحدين والحفصيين"** مع ملاحظة تحديد البعد المكاني المتمثل في إقليم طرابلس؛ باعتباره المنطقة الجغرافية التي بسط فيها الموحدين والحفصين نفوذهم عليه.

أهداف الدراسة:
الهدف منها إبراز جهود العلماء الليبيين في مجال علوم الشريعة إما تأليفاً أو تدريسا.
وسأذكر نبذة عن بعض مشاهير العلماء، ثم سنورد جوانب من مساهمتهم في علوم الشريعة، ونشاطهم في مجال التدريس والتأليف بصورة موجزة، ولم أقصد استقصاء كل علماء ليبيا، وإنما قصدي إشارة إلى جهود بعضهم؛ ليكون ذلك حافزا للباحثين في نفض الغبار عن تراث ليبيا العربي الإسلامي الذي تزخر به ليبيا، في المكتبات العامة والخاصة.
منهج الدراسة:
من أجل تحقيق هذه الأهداف؛ تم اعتماد المنهج السردي التحليلي القائم على جمع المادة، ونقد مصادرها ومراجعها، وتوثيقها، وترتيبها، وتحليل الأحداث، وربطها؛ لضمان تسلسلها وتماسكها.
حدود الدراسة:
البعد الزماني:
يبدأ من بداية تكوين الموحدين لدولتهم في إفريقية وينتهي بانتقالها إلى حكم أسلافهم الحفصيين، حتى سقوط دولتهم، وذلك من تاريخ: (ق-6-10هـ – 12-16م).
البعد المكاني:
بناء على ما تقدم فإن حدود الدراسة ستشمل ذلك الحيز الجغرافي المتمثل في إقليم طرابلس الغرب.
أهمية الدراسة:
1- إبراز عدة جوانب من الحياة العلمية في إقليم طرابلس الغرب من خلال إظهار دور العلماء في إثرائها، سواء أعلى المستوى المحلي، أم الإسلامي.
2- العمل على الحفاظ على ما تبقى من جهود العلماء من الاندثار والضياع.
3- فتح المجال أمام دراسات على نطاق أوسع وأشمل قد تظهر لنا آثار وجهود بعض العلماء المغمورين.
أسباب اختيار الموضوع:
1- وجود عدد من العلماء المغادرين والوافدين معاصرين لفترة حكم الموحدين والحفصيين أهملت مناقبهم وظلت بعيداً عن متناول البحاث والمختصين.
2- وجود أعداد كبيرة من المخطوطات لكثير من العلماء لازالت في الخزائن الخاصة والعامة، تحتاج توجيه البحاث إليها؛ لكي تخرج من دهاليز الظلام.
إشكالية الدراسة:
تتمثل إشكالية الدراسة في عدة تساؤلات منها:
1- ما هي العوامل الأساسية التي أدت إلى وجود أعداد كبيرة من علماء علوم الشريعة خلال هذه الحقبة.

2- ما هو دور العلماء في ثقافة الليبيين وما هو الدور المماثل الذي قام به الليبيون في ثقافة الشعوب الإسلامية أثناء مرحلة استقرارهم فيها.
3- هل أحدث العلماء أثراً في الحياة العلمية أينما حلوا، أم كانوا مثار جدل من خلال آرائهم وأفكارهم.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدة محاور:

المحور الأول: العوامل ذات التأثير الإيجابي التي ساهمت في نشر علوم الشريعة في ليبيا زمن الموحدين والحفصيين.
المحور الثاني: دور العلماء في بناء مراكز العلم؛ لنشر علوم الشريعة في العهدين الموحدي والحفصي:
أ- المساجد ب- الرباطات ج- المدارس د- الزوايا.
المحور الثالث: وسائط التعليم لنشر علوم الشريعة خلال زمن الموحدين والحفصيين.
المحور الرابع: العلوم والكتب التي تدرس بالمراكز العلمية.
المحور الخامس: جهود العلماء الليبيين في نشر علوم الشريعة في ليبيا خاصة، والعربية والإسلامية عامة (أ- الفقه ب- التفسير ج- التصوف).

وحقيقة الأمر مهما نفضنا الغبار عن تراث ليبيا الإسلامي فلن نوفي علماؤنا حقهم؛ وآمل أن يوفقني- الله سبحانه وتعالى- في سبر غور الجزء اليسير منه.

المحور الأول: العوامل ذات التأثير الإيجابي التي ساهمت في نشر علوم الشريعة في ليبيا زمن الموحدين والحفصيين.

يمكن حصر هذه العوامل في عدة نقاط منها:

1- ظهور الحركات الدينية والفكرية والمذهبية، التي انبثق عنها وجود فرق خارجية صفارية وإباضية تعيش في ليبيا مع غالبية السكان، الذين يعتنقون المذهب السني، كما كان الإباضية في جبل نفوسة، وزوارة، وفزان يناقشون آراءهم وأفكارهم المخالفة لآراء أهل السنة في المساجد المشتركة بينهم، مما ساهم في نشر علوم الشريعة بين طبقات المجتمع الليبي (الحربي،1960م، ص42-44).

2- أخذ الموحدون والحفصيون بمذهب الإمام مالك في الفروع، والمعاملات بين الناس؛ ولكن بشيء من المرونة والتسامح مع المذاهب الفقهية الأخرى من مذهب: حنفي ومذهب شافعي، وحنبلي، وغيرها من المذاهب الفقهية، وذلك على ما كان عليه المرابطون قبلهم من تشدد وتمسك بمذهب الإمام مالك، ومعارضة للمذاهب الفقهية الأخرى، وبالنسبة للموحدين؛ فإنهم كانوا يميلون إلى تغليب الرجوع إلى القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة على الرجوع إلى أقوال الفقهاء، وكان الإمام الأول للموحدين، وهو (محمد بن تومرت) من المحدثين، وكان لهذا التوجه السائد في الدولة تأثيره الواضح في الحركة الثقافة والعلمية، وفي المناهج الدراسية التي كانت مطبقة في مؤسسات التعليم(الشيباني، (2001م) ص199).

4- الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي اللذان تمتعت بهما البلاد في فترات طويلة من حكم الموحدين والحفصيين، واهتمام السلطات بشؤون الحكم، وحرصها على إقامة الشعائر الدينية، ومنح المناصب الإدارية لبعض مواطنيها، الذين كانوا يملكون كفاءات علمية، أو ذوي الخبرة الإدارية، وظهر هذا الجانب بوضوح أثناء العهد الحفصي (السباني،2006م، ص599).

5-تشجيع السلطان أبي زكريا الحفصي على جلب العديد من العلماء والفقهاء والمتعلمين الأندلسيين في محاولة منه لزرع شخصية أفريقية مناوئة للتأثير المغربي (الرجيبي، 2009م، ص186)، المتمثل في مجموعات من القبائل العربية التي هاجرت إلى ليبيا والمغرب الأوسط في عهد بني زيري والتي استقرت بعد ذلك في المنطقة، واندمجت مع من سبقها من القبائل العربية والليبية، وقلبت كفة الميزان السكاني والثقافي واللغوي لصالح العنصر العربي والثقافة العربية واللغة العربية.

7- الانفتاح الواسع الذي حدث خلال حكم الموحدين والحفصيين على بلدان المغرب العربي، والمشرق العربي وعلى بعض بلدان وشعوب البحر الأبيض المتوسط في إيطاليا وإسبانيا والبرتغال، وغيرها من البلدان؛ وذلك من خلال الأسفار المتبادلة بين سكان هذه البلدان، التي أصبحت مسيرة إلى حد كبير من خلال المعاملات التجارية بين هذه البلدان، ومن خلال من جاءوا من هذه البلدان إلى طرابلس جنوداً أو موظفين في دوائر الدولة أو مشاركين في الحملات العسكرية التي شنت على طرابلس، أو مهاجرين إلى طرابلس من بلدان المغرب العربي، ومن صقلية وجنوب إيطاليا ومن بلاد الأندلس، وذلك بعد أن ضعف حال المسلمين، وسقطت دولتهم في صقلية والأندلس، وكان لهجرة الأندلسيين إلى بلدان المغرب، والشمال الأفريقي التي من بينها ليبيا، تأثيرها الواضح في الثقافة الليبية والمغربية، وفي الحركة العلمية في ليبيا، وفي منطقة المغرب العربي عامة؛ لما كان يتمتع به كثير من المهاجرين الأندلسيين من مستوى ثقافي وحضاري وعلمي وتعليمي أرقى. (الشيباني2001م، ص 199).

8- النهضة الثقافية في تونس التي أتخذ منها الحفصيين عاصمة لمملكتهم، وأولوها عنايتهم الزائدة، وكانت تونس ولا تزال تضم أقدم وأعرق وأكبر مؤسسة للتعليم العالي في الشمال الأفريقي، وهي جامع: الزيتونة الذي زادت العناية به في العهد الحفصي وأصبح من المعاهد العلمية العليا التي يشد إليها العلماء وطلاب العلم الليبيون الرحال للدراسة والتدريس فيها (الشيباني2001م، ص 199). ويقابل جامع الزيتونة في تونس جامع الأزهر في مصر الذي كان مقصد العلماء وطلاب العلم الليبين للدراسة فيه، وكان له التأثير الكبير في الثقافة والتعليم في ليبيا في ذلك العصر من العصور الإسلامية اللاحقة له.

9- إن اهتمام العلماء الوافدين على ليبيا، كان له أثر كبير في الثقافة الإسلامية في ليبيا؛ لتوسطها بين المغرب والمشرق الإسلاميين، إذ كان مرور العلماء أشبه ما يعرف بالمواسم الثقافية. (المزيني، 1994م، ص244).

ونتيجة لنشاط الحركة الثقافة والعلمية، وتحسين التعليم في فترات استقرار الحكم في العهدين الموحدي والحفصي، ظهر في هذين العهدين كثير من العلماء والأدباء الليبيين البارزين، الذين كان لهم دورهم الفعال في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية، وأسهموا بنصيب وافر في تعليم الناس وتوجيههم، وسنعرض بعض من أقطابهم من خلال هذا البحث.

المحور الثاني: دور العلماء في بناء مراكز العلم ونشر علوم الشريعة في العهدين الموحدي والحفصي:

شهدت إفريقية خلال العهدين الموحدي والحفصي تقدماً حضارياً وثقافياً وعلمياً في جميع المجالات.

وفي هذا المحور سنعرض لكل مؤسسة دورها وأثرها في إثراء الحياة العلمية في طرابلس ودور العلماء الذين أفرزتهم تلك المؤسسات في النهوض بالحياة العلمية في المناطق المجاورة.

كانت هذه المؤسسات المتمثلة في الكتاتيب، والزوايا، والمساجد، والمدارس، والرباطات، تقوم بدورها على أكمل وجه إذ بينت قواعد الإسلام ولم تقتصر على تعليم القرآن وحفظه وحسب، بل توسعت في إدخال العلوم التي لها صلة بالدين الإسلامي (الحوات،1991م، ص292-293-294).

لقد ساهم العلماء المحليون والوافدون في بناء المؤسسات التعليمية بشتى أنواعها، كما أنهم استغلوا الأماكن التي سبقت مجيئهم أو وجودهم لإلقاء الحلقات والدروس العلمية، وقد أشار التجاني(1981م) إلى ذلك عند زيارته إلى طرابلس في رحلته التي قام بها منذ سنة 706هـ/1306م إلى سنة 708هـ/1308م، إذ قال: "ومساجد البلد لا تحصى وهي تكاد تناهز الدورة عدة" (الرحلة، ص254).

وسنعرض نماذج لبعض هذه المنابر التي أنشأها العلماء على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً المساجد:

تعد طرابلس من المدن المهمة خلال فترة نفوذ الدولتين الموحدية والحفصية التي نشط فيها الميدان الفكري في مجال علوم الدينية خاصة، فكان للمساجد دورها الفعال في إبراز علوم الشريعة فتمثل دورها في إحياء المذهب المالكي ونشره والتمسك به بعيداً عن دهاليز السلطة وربما يرجع ذلك لمدارة السلطة لخوفها من عواقب محاربة أصحاب مالك لتجدره بين المغاربة.

كما أن عدداً كثيراً من مساجد افريقية كانت تنسب للمشايخ والعلماء والفقهاء والصلحاء الذين تولوا بها الإمامة والتدريس أو كليهما، ومن أمثلة هذه المساجد:

أ- مسجد عبد العزيز بن محمد الأوسي الأنصاري:

وهو من أحد البيوت الوافدة من الأندلس وساهم في بناء إحدى المؤسسات التعليمية داخل طرابلس وخارجها، فذكر صاحب كتاب نفحات النسرين " أن من المساجد التي بناها الشيخ عبد العزيز بداخل الثغر بقرب سورها الغربي، وضريح الشيخ المزاريدي عمران، واستوطن آخر عمره عند الجلاء واستيلاء الأسبانيين على طرابلس سنة(916هـ)، بجبل غريان، وأسس جامعاً بوادي النخل وكان يؤم الناس به وتجدد لأعمال الآخرة وانقطع إلى الله – عز وجل- مجتهداً في ذلك على أقوم طريقة إلى أن توفي ودفن بإزاء مسجده، وقبره يزار وقفل ابنه الأستاذ أحمد إلى طرابلس بعد الفتح" (الأنصاري، د.ت، ص102).

ب - جامع الناقة: هناك مسجدان يحملان نفس الاسم في مدينة طرابلس أحدهما بناه المعز لدين الله الفاطمي، وهو في طريقه إلى مصر عام(362هـ/972م)، ولمبالغة سكان طرابلس في استقبالهم له وترحيبهم به قدم لهم هدية وهي ناقة محملة بالذهب فاستقر أمر أهل طرابلس على أن يبنوا جامعاً بثمن الذهب المحملة به الناقة فأطلق على اسم المسجد مسجد الناقة.

أمّا المسجد الثاني الذي يحمل الاسم نفسه فيقال أنَّ الشيخ زروق عند قدومه من المغرب لزيادة الأراضي المقدسة بركت ناقته في مكان بمدينة طرابلس فبنى أهل طرابلس مكان بروك الناقة مسجداً تبركاً بالشيخ زروق (عبدا لله ،2007، ص 137).

ج - مسجد الجمعة:

من المساجد العريقة التي بنيت قبل مجيء زروق لمدينة مصراتة، وعلى الأرجح أن تأسيسه كان في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وعند استقرار الشيخ بالمدينة واتخذ من المسجد منبراً علميا لإلقاء الدروس والصلاة فيه يوم الجمعة فالتصق اسم المسجد بهذا اليوم؛ لأن الشيخ كان يؤم فيه المصلين (اجهان،2007م، ص180-181-182).

واما مساجد منطقة جبل نفوسة فقد تعددت المساجد التي نسبت للعلماء الإباضية التي انتشرت بها حلقات العلم مثل: مسجد الشيخ صال الدركلي ومسجد الشيخ عبد الحميد الجناوني ومسجد الشيخ سعد بن أبي يونس الطمزيني، ومسجد الشيخ أبي مرداس مهاصر السدراتي (الشماخي،1992م، ص156-184-234) ، ومسجد الشيخ يكنول بن الطويل (الدرجيني،1974م،ص1/ 416) ، ومسجد الشيخ أبي هارون التملوشائي (البغطوري،2009م، ص43) ، ومسجد الشيخ عمروس بن فتح المساكني، ومسجد الشيخ أبي مهاصر موسى بن جعفر (كوردي، 2008م، ص81-82)، وقد أحصاها الشماخي(1993م) في كتابه السير في ملحق بعنوان (تسمية مشاهد الجبل) ذكر فيها(62) مصليا و (21) مسجداً (الشماخي،2/235-263؛ عمر، أحمد مختار، 1971م، ص 105).

ثانياً: الرِّبط:

الرباط في اللغة مكان اجتماع الفرسان تأهباً لرد الحملات التي تشن على الثغور، كما اصطلح الفقهاء على أنه احتباس النفس في الجهاد والحراسة، وهو في الحق مكان ديني حربي، كان للمرابطين أثر في عمارة الأربطة التي احتوت بيوتاً للسكن ومستودعاً للسلاح والمؤونة وخطط هذه الأربطة غالباً ما تكون يسيرة وغير معقدة، وهي سور مرتفع تكتنفه الأبراج نصف المستديرة من أركانه ووسطه. (ابن مرزوق،1981م، ص398؛ الزاوي،1981م، ص236).

والرباط هو مراقبة تحركات العدو بالإضافة إلى أنه مكان للتعليم والعبادة؛ لأن أغلبية المرابطين من العلماء، وطلبة العلم، والعباد، والمتصوفة، إذ يعتكف رجال الصوفية بها للعبادة لفترات طويلة وتلقي دروس العلم، ولا تخلو من شيوخ أفاضل؛ لذلك كانت حلقات الدروس والمناظرة بين العلماء تقام في الربط، شأنها شأن المساجد. (التليسي،1988م، ص413-420).

وكان يؤم رباطات أفريقية نوعان من العبَّاد: النوع الأول الموسميون من العلماء والعامة من الناس لا سيما خلال شهر رمضان وأيام الجمعة والعيدين وعاشوراء. (البكري، د.ت ص 36)،

والنوع الثاني المرابطون المنقطعون للعبادة بهذه الرباطات لمدة طويلة الذين يدفنون غالباً إلى جوارها (خالد، وكريمة، د.ت، ص7).

ولم يقتصر دور الرباط على الجوانب العسكرية والتربوية؛ بل امتدت لتشمل دوراً علمياً ومعرفياً، وقد واصل الرباط مهمته التعليمية حتى نهاية القرن 11هـ/17م فقد كان الرباط مكان تعبد وجهاد ودراسة القرآن وتجويده وتفسيره ودراسة الحديث والفقه، كما تنوعت مهام الاربطة في سبيل خدمة العلم وأهله، وأصبح داراً للنساخ لاستنساخ المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه، فالمؤلفون يجّبسون تصانيفهم بخطوط أيديهم عن الأربطة، لتكون منه النسخة الأم التي يُرجع إلى نصها الصحيح، ويتولى المرابطون في الرباط نسخ الكتب وتوزيعها على طلاب العلم بالمجان وفي كل رباط مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط بها النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف(عبد اللطيف ، د. ت، ص110).

وهناك عدد من العلماء من بذلوا جهداً كبيراً لنشر العلم القائم على أسس وعقيدة أهل السنة والجماعة في الأربطة، ويذكر لنا أبو إسحاق الجبنياني وهو أحد من نال العلم في الأربطة بأنه: " قد أدرك هذا الساحل وما منه قرية إلا بها رجل من أهل العلم ومن أهل القرآن، أو رجل صالح يزار..."، ويقول: "انصب شبكتك على هذا البحر فلابد أن يقع في يدك طائرة فارة"، يقصد أنه يقع في يدك رجل ينتفع من علمه لكثرة ما يرد الحصون من الصالحين **(**لطيفة ،2001م، ص120**).**

وقد اهتم الموحدون بنشر التعليم بمختلف الوسائل بما فيها الرُّبط، وبذلك ظلت الربط في جميع بلاد المغرب وإفريقية تشع بنور العلم والإيمان وتزخر برجال العلم المؤمنين الذين قدموا العلم لقاصديهم وشجعوهم على طلبه كباراً وصغاراً. (التليسي، 1988 م، **ص-421**).

كما اهتم الحفصيون بنشر التعليم بمختلف الوسائل بما فيها الربط، لذا نجد الراغبين في تلقي العلوم يحرصون على حضور مجالس العلم التي يعقدها العلماء القاطنون داخل الربط، مما ساهم في تنشيط الحياة العلمية ببلاد المغرب، وطرابلس في زمن الحفصيين، وقد أنشأ أبو فارس عبد العزيز عديداً من المحارس في الثغور البحرية للرباط (ابن أبي الضياف، 1976م،231/1).

وتعد هذه الأعمال الجليلة من أبرز المهام التي يقوم بها المرابطون من العلماء الذين ينزلون في الرباط، وكان لهذه الرباطات وجود فعال على طول الساحل الليبي ومن أشهر المرابطين في المحارس:

أ- الشيخ الزاهد أبو محمد عبد الجليل الحكيمي:

وهو أحد الصلحاء الذين أتوا من المغرب، واتخذ من مسجد بإحدى المناطق المطلة على الساحل ببلدة جنزور مكاناً للعبادة والتزهد، ويعد هذا المسجد من أقدم المحارس الموجودة في ليبيا التي بناها أبو الغرانيق بن الأغلب، وإنما نسب إليه لملازمته له وعندما توفي الشيخ يوم الأحد الثالث من ربيع الأول سنة675هـ بعد أن نيف على مائة وعشرين عاماً دفن بمسجده الذي كان ملازما فيه وتاريخه مكتوب على قبره. (التجاني،1981م، ص 219؛ الزاوي،2004م، ص204).

أ- الشيخ سالم المشاط:

يصفه الأنصاري (د. ت) بقوله" وَلِيُّ الله بلا نزاع وحامل راية أوليائه بلا دفاع شيخ السالكين وقدوة العارفين وعمدة المحققين.... ويضيف أن الشيخ توفي (899هـ/ 1493م) ودفن بداخل الثغر من السور البحري قريباً منه "(ص100).

إن هذا الوصف يبين لنا أن بعضاً من العلماء قد أتخذو من المحارس مكانا للعبادة والرباط لمراقبة تحركات العدو وفي نفس الوقت يقومون بدورهم التعليمي.

– ثالثاً الكتاتيب والمدارس:

كان الكتاب بناء بسيطة يتكون من حجرة صغيرة ملاصقة للمسجد، أو في بيت الشيخ غير منمقة أو مزينة، وتضم ميضأة ومكاناً للشرب ومجلساً مرتفعا يجلس عليه الشيخ، ويلتف حوله الصغار ويرددون ما يمليه عليهم من آيات قرآنية، وقد أنتشر في ربوع مدن المغرب، ولم يخل منه درب من الدروب أو حي من الأحياء وقد يتعدد في الحارة الواحدة، ويسهم الأهالي في الإنفاق على بنائه ودفع أرزاق المعلمين فيه وتشجيع الصبية على إكمال التعلم والتصدق عليهم بالمال والطعام (سحنون1972، ص32، 37،55؛ الدباغ، د.ت،342/2).

وكان من عادة الأمير أبى زكريا (625-647هـ/1227-1249م) إذا كان في طريقه كتاب "يأمر معلم الأولاد أن يسرح أطفال الكتاب ليدخل عليهم السرور"(ابن الشماع،1984، ص56).

ولكلمة دَرَسَ في العربية معان عدة، فدَرَسَ بمعنى قرأ، ومن الفعل(دَرَسَ) أي: تعلم اشتقت كلمة المدارس، وهي: الموضع أو البيت الذي يدرس فيه القرآن.

وإذا كان ثمة خلاف بين الباحثين حول ظهور المدرسة في المغرب على أنها مؤسسة تجمع بين الإيواء والتعليم؛ فالواقع أن البحث التاريخي المغربي قد أثبت وجود هياكل سكنية تعليمية بالمغرب الأدنى خلال الفترة الإسلامية الباكرة، خصوصا وأنه ما كان للمدارس أن تنطلق فجأة من الفراغ أو من مجرد تقليد عفوي للمؤسسات النظامية المشرقية المتمثلة في المدارس الشافعية بخرسان اذ استعمل هذا المصطلح في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (مامي،1988م، ص282).

فنذكر على سبيل المثال عدة مدارس تم تأسيسها في القرن الثالث الهجري بجبل نفوسة مثل: مدرسة الشيخ ابن وسيم التي تخرجت منها زوغ الأرجانية، ومدرسة أبي القاسم سدرات البغطوري التي قامت بدور كبير في تعليم أبناء قرية بغطورة بجبل نفوسة، ومدرسة أبي الربيع سليمان اللالوتي، ومدرسة أم يحيى أمسين وكانت مخصصة لتعليم الفتيات (كوردي،2008م، 91، 93، 119)، وفي القرن الرابع الهجري نذكر مدرسة الشيخ أبي الربيع سليمان بن ماطوس الشروسى، التي كان يتردد عليها الطلاب ويقيمون بها فترة الدراسة التي كانت تستمر لمدة ستة أشهر، ومدرسة أبى هارون موسى بن يونس الجلالى، التي عملت على نشر العلم، وبث روح الإسلام، وكانت تحوي مبيتاً يؤمه الطلاب الذين يأتون من أماكن نائية، ولما كان مؤسسها من التجار فقد خصص لهم نصيباً مما تنتجه مزارعه وأرباح تجارته (كوردي ،2008م، ص 90).

ومن الملاحظ أن هذه المدارس سبقت فترة حكم الموحدين والحفصين إلا أنها لم تتخلى عن دورها التعليمي في علوم الشريعة خاصة، وقد تتلمذ فيها كثير من العلماء الذين أصبحوا فيما بعد نبراسا للقرون التي تلتها.

وقد شهدت ليبيا انتعاشاً ثقافياً بدخول طرابلس ونواحيها تحت نفوذ الموحدين ومن بعدهم الحفصيين، فازدهرت الحركة العلمية بإنشاء المدارس النظامية منها:

ـ مدرسة محمد بن سليمان النفوسي: أسسها الشيخ في القرن السادس الهجري واستقبل فيها طلاب العلم من مختلف مناطق جبل نفوسة ونواحيها، وكان حريصاً على مصلحة الطلاب لدرجة أنه كان ينفق عليهم من ماله الخاص ويشتري لهم الأطعمة والأكسية صيفا وشتاء (الشماخي، 1992م، 78/2).

أ- مدرسة زكريا بن إبراهيم الباروني: تأسست في القرن السابع وكان الشيخ يقوم بالتدريس بها إلى جانب قيامه بمهمة الفتوى وكانت تحتوي على بيوت للطلاب الذين بلغ عددهم مائة طالباً تقريباً، وكان ينفق عليهم في أحلك ظروف العيش في سبيل بقائهم ومواصلتهم لطلب العلم (معمر، على يحيي،2/197-198-199).

ب ـ المدرسة المستنصرية:

ذكر التجاني(1981م) أثناء إقامته بطرابلس أن " بداخلها مدارس متعددة وأن المدرسة المستنصرية كانت أحسنها، وهي التي قام بإنشائها الشيخ أبو محمد عبد الحميد بن أبي الدنيا، سنة (655- 658هـ/ 1257- 1259م)" (الرحلة، ص251- 252).

ج- مدرسة: عامر بن علي الشماخي:

أسست هذه المدرسة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، على يد عامر بن علي الشماخي بعد أن أكمل دراسته بمساجد العلم ببلاده ومدارسها ورجع إلى جبل نفوسة فأسس مدرسة بيفرن، ودرسَّ بها وقام بتكليف زملائه من أهل العلم وطلابه الكبار في السن بالتدريس بها، ولا زالت بقايا هذه المدرسة موجودة حتى الآن (الدالي،2001م، ص 166).

د- مدرسة ابن ثابت:

وهي من القلاع العلمية المهمة التي أشار إليها الشيخ أبو حسن علي القلصادي الأندلسي، أثناء زيارته لطرابلس عام(851هـ/1447م)، فقال: "وبلغناها في الخامس والعشرين ومن ربيع الثاني، فنزلنا بها وتلاقينا مع بعض الأصدقاء والأصحاب، وحبونا بالبر والإكرام، وأقمنا بمدرسة ابن ثابت عدة ليالٍ وأيام". (القلصادي،1978م، ص124).

- رابعاً الزوايا:

المعنى اللغوي للزوايا: الزاوية من البيت ركنه وجمعها زوايا وانزوى صار في الزاوية (الزاوي، طاهر، 1980م، ص283) أي: بمعنى الانجماع والانقباض. (الزبيدي،1980م،10/19).

المعنى الاصطلاحي: هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القادمين. (السباني،2006م، ص519).

يفهم مما سبق أن الزاوية هي المكان الذي اتخذه الصوفية لتدريس طرقهم وإيواء طلابهم، ومريديهم، وعلى هذا الأساس، أنشئت العديد من الزوايا في ليبيا بعضها كبيرة وأخرى صغيرة، ولا تكاد تخلو أي منطقة في ليبيا من زوايا ساهمت وتساهم بدور مهم في تحفيظ القرآن وتدريس ما يتعلق به من العلوم الدينية ومن أهم هذه الزوايا التي أسسها الوافدون، بالإضافة إلى الزوايا التي كانت موجودة، وتم استغلالها من قبلهم على سبيل المثال لا الحصر:

- أولاً زوايا أسسها الوافدون المغاربة وهي:

أ- زاوية إبراهيم المحجوب:

مؤسس هذه الزاوية هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المحجوب، الذي ينتهي نسبه في الجد الحادي والثلاثين إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة رضي الله عنهما، ولد حوالي سنة(707هـ/1306م)، في عهد الأمير أبي يحيى بن زكريا اللِّحياني، المعروف بصاحب طرابلس، وفدت أسرة المحجوب من موطنها المغرب الأقصى في رحلة إصلاحية دينية مارة بالجزائر وتونس، حيث أقام أحد أفرادها وهو علي الأصغر بمنطقة قصور الساف، وأسس بها زاوية وله عقب هناك يعرفون بالمحاجيب، كما استقر الأكبر بمنطقة زمور، وله بها زاوية، ثم واصل الأخوان إبراهيم وحامد باتجاه البلاد الليبية إلى أن وصلا إلى مصراتة، فطاب المقام بها لإبراهيم وأسس زاويته المشهورة باسمه الآن سنة(742هـ/1341م)، بينما فضل أخوه حامد شد الرحال إلى المنطقة الغربية فحط بمنطقة صرمان وأسس بها زاوية عرفت فيما بعد باسم أكبر أولاده زكريا. (المغربي،2008م، ص131).

تعدُّ هذه الزاوية من أقدم الآثار الإسلامية في مصراتة وقد قامت بدورها الإصلاحي ونشر العلم برعاية شيخها المؤسس، ثم تحولت بعد وفاته إلى مؤسسة علمية تخدم مصلحة طلاب العلم والحفاظ، فتخرج من أساطين العلم من الذين كان لهم دور فعال في الحركة العلمية في جميع المناطق المجاورة للزاوية، ومن بين هؤلاء الشيخ يوسف الجعراني، والشيخ عبد الرحمن بركات، والشيخ كريم الدين البرموني وغيرهم. (إجهان،2007م، ص156-161).

ب- زاوية الدوكالي:

أسس هذه الزاوية الشيخ عبد الله الدوكالي، التي عرفت باسمه، وذلك بمنطقة الزعفران، ثم غادر مسلاتة ودخل القاهرة سنة 793هـ، ومات في الإسكندرية، وقبره بها، وبعد وفاته أخذت الزاوية شهرتها في زمن حفيده عبد الواحد الدوكالي، الذي نهض بها وأشهرها وجعلها منارة تشع بالنور والعلم والمعرفة، وتشتهر في جميع الأقطار. (العربي،2008م، ص52).

وتتلمذ على يد الشيخ عبد الواحد في هذه الزاوية شيوخ أجلاء على رأسهم أحمد زروق، الذي كان من أقران الشيخ الدوكالي ببلد مسلاتة، ويشد الرحال إليه من مسكنه في مصراتة على فرس أحمر وبيده رمح (شعيب،1992م، 2/1367).

كما تتلمذ على يده الشيخ الأسمر، في نفس الزاوية، فقد ذكر الشيخ الأسمر في وصيته أن الشيخ عبد الواحد من أكبر رجال العلم، وأن فتواه تعجب علماء طرابلس وتونس. (الأسمر،1967م ص70-71).

مما سبق يتبين لنا الدور الفعال الذي قام به الشيخ عبد الواحد الدوكالي، في تخريج الكثير من العلماء من هذه الزاوية طول الفترة التي عاشها إلى أن توفي في بداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وقبر بالزاوية التي أسسها أحد أجداده المذكور آنفاً.

ج - زاوية أبو ماضي (الأزهر الصغير):

هي من أقدم الزوايا في ليبيا أسست في جبل نفوسة، فهي تضاهي في مكانتها الجامعة، لهذا كان يطلق عليها اسم الأزهر الصغير؛ وذلك للدور الذي قامت به هذه الزاوية في نشر العلم في المناطق البعيدة والمجاورة، فقد بلغ عدد الحفاظ المترددين على الجامعة ومن يحمل منهم اسم محمد حوالي خمسمائة اسم، أغلبهم قبروا في نطاق حدودها، هذا غير من التحق بها من العلماء والمجاهدين الذين درسوا بها واتخذوها قاعدة للانطلاق في مواجهة الأعداء عبر مراحل تأسيسها.

وقد كانت هذه الجامعة إن صح التعبير تزخر بالكثير من المؤلفات التي خلفها العلماء الذين تعاقبوا على تلقي العلوم فيها أو من قام بالتدريس في قلاعها العلمية من كل حدب وصوب، ولكن للأسف ضاعت هذه المؤلفات في دهاليز الظلام ما بين مستعمر ومحتكر لأغراض سياسية ودنيوية.

فأصبح هذا المنبر الذي كانت تعتريه قبة العلم، وكوكبة من العلماء في وقتنا الحالي كالقرية الخاوية على عروشها تآكلت معالمها وأهملت وعفى عنها الزمن.

وقد اختلفت الروايات حول تأسيسها فهناك من يقول إن من قام بتأسيسها الشيخان مسعود البرقي(*) ورفيقه في الرحلة أحد الوافدين المغاربة إلى ليبيا في القرن السابع الهجري ا لشيخ أبو العباس عبد المولى الصنهاجي (**)، في حين أن بعض الآراء تنسب تأسيسها إلى حفيد عبد المولى عبد النبي الجبالي الملقب بالأصفر، بينما يظهر رأي أخر مخالف وهو أن هذه الزاوية من الزوايا العتيقة وأن عهد هذا الأخير بعيد جدا عن فترة التأسيس، ويري الأصح أن الشيخين هما من قاما بالتأسيس وتقاسما مصاريف البناء وشراء الأرض(***).

وقد مرت الزاوية بعدة مراحل ساهمت في برولة تاريخها الثقافي والديني، منذ بداية التأسيس وكان على الأرجح عام(740هـ)، بقدوم الشيخين الرفيقين الوافدين من بلاد المغرب الأقصى، وهي الفترة التي سبقت سيطرة الجنوبيين على طرابلس سنة(755هـ/ 1354م)، هنا جاء دور الزاوية الجهادي، إذ سارع البرقي بتولي هذا الدور بشن هجمات خاطفة على الجنوبيين المحتلين لطرابلس، ولما كانت أوضاع جنوة مضطربة في هذه الفترة إضافة إلى اشتداد مقاومة أهل طرابلس التي لم تتوقف؛ بادر فيليب بقبول الفدية، وتسليم المدينة، وعقد اتفاقاً مع حاكم قابس، أبو العباس أحمد بن مكي الذي تفاوض مع النصارى لترك سيطرتهم على المدينة، فاشترطوا عليه فديتها بمبلغ خمسين ألف قطعة من الذهب العين واستعجلوا في دفع ذلك نتيجة المقاومة التي قام بها الأهالي فجمع ما عنده واستوهب ما بقي من أهل قابس و الحامة وبلاد الجريد فوهبوها له رغبة في الخير (ابن خلدون،2000م،6/616؛ الزركشي،1966م، ص،94).

وبعد انتهاء مرحلة الجهاد سلك الشيخان طريق التلقين والتعليم في الأزهر الصغير، كلُ له منهجه الخاص به، فكانت هناك اتجاهات عديدة في المنهج الفكري للأزهر الصغير عبر فترات نشاطه، وبذلك أصبحت هذه القلعة العريقة متعددة الاتجاهات وانتشرت بها فروع وأقسام للدروس العلمية في مختلف العلوم وبالأخص علوم الشريعة منها وفي وقت شهدت البلاد نوع من

(*) مسعود البرقي بن وكيل بن يحيي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عنان فاضل بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن على بن عبد السلام بن سليمان " مشيش "بن أبي بكر بن على بن حرملة بن عيسى بن سلام" بن عروس "بن مزوار بن على "حيدرة "بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن" السبط "بن على بن أبى طالب، الصنهاج ، عبيد الله أبو القاسم بن علي بن عبدالمولى شرف الطرفين الصنهاج،(مخطوط إيضاح الإيضاح والصلاح صحَّ قام بمقابلته عبيد الله أبو القاسم بن علي بن عبد المولى شرف الطرفين الصنهاج لكاتبه محمد بن محمد في أواخر صفر الخير. 1145هـ، ورقة رقم 3)، هذا المخطوط بمكتبة الباحث، وهو يحمل العنوان السابق ذكره، يتحدث فيه الكاتب على نسب إحدى عشر نسلا تسلسل منه الأشراف الأدارسة، ويذكر مناطق وجودهم التي انطلقوا منها إلى ربوع البلدان الإسلامية، ويحدد مناطق استقرارهم، أينما وصلوا ويستشهد بشهادة الشهود لكوكبة من علماء ليبيا من ثبات نسب الأدارسة الوافدين إلى ليبيا، ويوثق أسماءهم على أنهم شهود فردا فردا بعد ما ذكر التزكية الشرعية لأحوالهم المرضية وهم بحالة جائزة شرعا، وهم كما ورد في المخطوطة: أحمد بن عمر الصرماني والشريف أحمد بن دحيم ونوير بن عبد القادر الفرجاني والحاج عثمان بتزكية زايد والفقي سالم أبوخبطة وأبو القاسم الورفلي وعبدالرحمن الربتيصي ومحمد أبوبكر الفيتوري وعبد الرحمن الصفراني.

للأمانة العلمية هذه الأسماء التي ذكرها صاحب المخطوط بعض منها من الأسماء المعروفة ولها باع في التوثيق ونحتاج من الجهات المختصة تشجيع من يحمل إرثهم الثقافي بأن يخرجه إلى النور لنرفع الستار عن حقبة من تاريخ ليبيا قد حشرت في أفران التنور أو تآكلت بفعل عتبات الزمن.

(**) ذكر: أبو عبيد الله محمد الشريف بن الشريف عبد الله المغراوي أن عبدالمولى الصنهاجي المولد الجبالي الدار والقبر، ونسب الشيخ عبدالمولى الصنهاجي من ناحية الأم للشيخ عبد المواهب بن عبد المؤمن بن عبد السيد بن عبد الجبار بن عبد الرؤوف بن عبد الغني بن عبد الغفور بن محمد بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش الإدريسي، المغراوي، أبو عبيد الله محمد الشريف بن الشريف عبد الله (1130هـ)،أنساب الأشراف الأدارسة، مخطوطة من نسخة تم مقابلتها بدون زيادة ولا نقصان من كاتبه عبيد الله الشريف عبدا لله بن الشريف الصنهاج، بتاريخ أواخر ربيع الأول سنة ألف ومائة وثلاثين هجري، المخطوط غير مصنف بمكتبة الباحث، في حين ذكر البرموني بأن نسبه يتصل من حيث الآب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش= تنقيح روضة الأزهار، د.ت، ص230.

وهو من العلماء الذين قدموا إلى ليبيا في زمن الحفصين بعد حدوث خلاف مع أخوته في بلاد المغرب حول تقاسم الميراث العائلي معهم، فقرر المغادرة مع أخيه داوود النوبي، وحلا بالديار التونسية، فخيرهما السلطان الحفصي بأن يقيما أينما أرادا، فاختار داوود تونس وقدم عبد المولى إلى طرابلس، المغراوي، المصدر السابق.

وكانت هذه الرحلة منذ بدايتها من مواطن صنهاجة بالمغرب مروراً بجبل راشد موطن أحد أخواله الشيخ مسعود البرقي إذ رافق عبد المولى خاله في الرحلة إلى تونس ثم إلى طرابلس، الصنهاج، المصدر السابق.

(***) (مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الحاج عبد الله محمد إسبيطة أحد أحفاد الشيخ البرقي يوم الاثنين 14-فبراير-2000م 10/ذي القعدة 1420هـ).

الاستقرار السياسي بعد خروج الجنوبين من طرابلس وتفرغ العلماء المجاهدون لإلقاء المحاضرات على الطلبة الوافدين وتدريس علوم الشريعة على هذا المنبر الذي يضم علماء كبار.

كان هناك نوع من التنافس لنشر الأفكار التي يحملونها، ويسعون لاستقطاب أكبر عدد من الأتباع في صفوف التلاميذ في مناخ يسودوه التنافس والتناظر داخل هذه المؤسسة العريقة التي حملت لواء العلم في ليبيا بشكل عام وجبل نفوسة بشكل خاص؛ وأحدثت نقلة نوعية فيما يمكن أن نطلق عليه التعليم العالي في ذلك الوقت الذي تبلورت من خلاله مسالك فكرية جديدة في ظل الحرية الفكرية التي بدأت تترسخ في أواخر العهد الموحدي وبداية العهد الحفصي وكان يسود فيهما حكم مذهب الدولة الموحدية (الظاهري) الذي كان في صدام مع المذهب المالكي ذى القاعدة الشعبية العريضة التي ساهمت في حمايته من التيارات المضادة وأعطته الاستمرارية حتى أصبح جزءاً من التراث الحضاري للمجتمع في هذه البلد ؛ ونتيجة لتلك النهضة الفكرية' فقد ظهرت فئة من العلماء رفعت مشعل الفقه والسنة وكان لها تأثير في الحياة الثقافية في إقليم طرابلس أسهمت في وجود عدة مسالك فكرية منها:

المسلك الفكري الأول، كان برعاية الشيخ مسعود البرقي وهو يحمل منهج الفكر السلفي(*).

والمسلك الفكري الثاني كان برعاية عبد المولى الصنهاجي وهو يحمل العقيدة المذهبية الأشعرية المالكية (**).

ثم انتقل الأزهر الصغير لمرحلة أخرى بعد وفاة الشيخين، ويقود هذه المرحلة:

1- الشيخ العالم العلامة عبد الرحمن الدرعي (***) صاحب الفكر الصوفي.

2- الشيخ عبد النبي بن خليفة بن حامد بن عبد الحليم بن عبد المولى الصنهاجي الجبالي، يحمل فكراً صوفياً وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي جعفر الجنزوري، وعاصره عبد السلام الأسمر وأخذ عنه جانباً من التصوف (الزاوي، 2004م، ص248).

3- الشيخ محمد بن عبد النبي كان ملازماً للأسمر ورافقه في رحلته إلى الحج، وتأثر به وبمنهجه الصوفي. (البرموني، د. ت، 229-230).

إذاً الأزهر الصغير كان من أهم منابر علوم الشريعة في ليبيا تصدرت التدريس فيه عدة مدارس، الأشعرية، والسلفية، والصوفية، وهذه الأخيرة ترسخت عقيدتها في الزاوية، خاصة بعد مجيء الأتراك إلى ليبيا "اضطروا إلى اتخاذ سياسة صوفية فاعتمدوا على جماعات الطرق الصوفية وأحاطوهم بالرعاية ومظاهر التقدير والاحترام ورفعوا من شأنهم في نظرة العامة ولم يقصروا في مجازات خدماتهم بسخاء منقطع النظير، ولا في عقاب مظاهر العداء بقسوة " (ابن رابعة، 2003م، ص44-45).

ومن هذه الطرق الطريقة البكداشية، التي كان الأتراك في تكوينهم الديني والنفسي من أتباعها فكانت لها اليد الطولى في توجيههم وتقوية نفوذهم، وكان الأتراك يدينون لرجالها بالطاعة والولاء، وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه، والسيد لسيده، وبالتالي لا غرابة فيما نراه ونسمعه من أوهام وأساطير نقلها بعض المريدين لأصحاب هذه الطرق (ابن رابعة،2003م، ص44).

ثانياً زوايا أسسها الوافدون الأندلسيين وهي:

أ- زاوية المشايخ الستة:

ينسب تأسيس الزاوية إلى العلماء الستة من عائلة الفطيسي، وهم من العرب المهجرين من الأندلس، وتعد العائلة من أشهر العائلات التي يكثر بها العلماء، ولها تاريخ عريق في العزّ والجاه، والعلم والتُّقى، ولا يعرف على وجه الدقة تاريخ إنشاء الزاوية، وهي من أقدم زوايا المنطقة التي أ سهمت في إثراء الحياة العلمية، وذلك بتقاطب العلماء وأهل العلم على حي الهنشير شمال شرق مدينة زليتن بقرية إزدو ومن أبرزهم وأكثرهم شهرة، الشيخ أحمد الزروق، الذي يقال إن معالم خلوته (غرفته)، لازالت موجودة حتى الآن. (المجدوب،2008م، ص220-222).

ب - زاوية يعقوب الخشاب:

وهو من الذين وفدوا من الأندلس واستوطنوا طرابلس، ويقول عنه التجاني: " أصله من الأندلس وكان في أول حياته قد ثار في جبل الفتح وادعى الملك بها، ولكن الأيام نقلته بتصاريفها إلى طرابلس، فأقام بها في آخر حياته زاهداً متعبداً". (التجاني،1981م، ص261).

ظل الشيخ يعقوب معتكفاً في زاويته التي أسسها على ساحل البحر قبل أن تستدعيه السلطات الحفصية إلى تونس، فتوجه إلى هناك عن طريق البحر، وعندما وصل جزيرة جربة مرض وتوفي بها. (التجاني، ص261؛ الأنصاري، 1899م، ص193).

ولم تذكر لنا المصادر تاريخ وفاته وهي على الأرجح في القرن السابع الهجري.

(*) كان البرقي رجلا تقياً ورعاً متبعاً لمنهج السلف وهب حياته للجهاد في سبيل الله، فكان يشن في الهجمات الخاطفة المباغتة السريعة على الجنوبيين المحتلين لطرابلس، ولهذا أطلق عليه اسم(البرقي)وقبل وفاته أوصى أبناءه بأن يقبر بالزاوية التي كان يعمل بها معلماً وينطلق منها مجاهداً في سبيل الله طالباً منهم عدم بناء قبة على قبره مقتدياً بمنهج السنة؛ فكان له ما أراد فنفذت وصيته من قبل أبنائه، (مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الحاج عبد الله محمد إسبيطة أحد أحفاد الشيخ البرقي يوم الاثنين 14-فبراير-2000م 10/ذي القعدة 1420هـ ؛ مقابلة أجراها الباحث مع إمام مسجد زاوية أبو ماضي وخطيبه الشيخ على الحامي يوم الثلاثاء 25- مارس-2003م/ 22- محرم 1424هـ).

(**) ذكر أبو عبيد الله محمد الشريف بن الشريف عبد الله المغراوي بأن عبد المولى مالكي المذهب أشعري اعتقاداً (المغراوي، أبو عبيد الله محمد الشريف بن الشريف عبد الله (1130هـ)، أنساب الأشراف الأدارسة، مخطوط من نسخة تم مقابلتها من مخطوط عبيد الله الشريف عبدا لله بن الشريف الصنهاج. المخطوط بمكتبة الباحث).

(***) هو جد قبيلة المشاشية ويدعى: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن عليّ بن سلام بن مروان بن حيدرة بن عليّ بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب: الصنهاج، عبيد الله أبو القاسم بن علي بن عبدالمولى شرف الطرفين الصنهاج. (1145هـ)، إيضاح الإيضاح والصلاح صحَّ، مخطوط بمكتبة الباحث.

ج- زاوية البازة:

وهي من أقدم الزوايا في ليبيا تقع في شمال مدينة زليتن، قام بتأسيسها الشيخ أحمد الباز، وهو أحد أعلام مدينة سنة(620هـ)، فاشتهرت بحي الباز الذي حمل اسم الشيخ فنسبت إليه القرية كاملة، ويقال إن الشيخ الأسمر كان من ضمن رواد هذه الزاوية التي سبقت زاويته في التأسيس بقرون وقد أوصى لمن يأتي إليه زائراً أن يزور قبر الشيخ الباز قبل القدوم عليه، تقديراً لمكانة الشيخ واعترافا بما أسداه من معروف ببنائه هذا الصرح العلمي نفع به البلاد والعباد، وقد أوقفت على الزاوية أحباس كثيرة ساهمت في تمويل الزاوية، وشيدت بها عدة غرف لإقامة طلاب العلم القادمين من خارج البلاد، ولعل أبرزهم الشيخ العلامة أبوبكر الجزائري صاحب كتاب منهاج المسلم الذى تعلم بالزاوية تم أصبح معلما بها.(المجذوب،2008م، ص 220).

المحور الثالث وسائط التعليم لنشر علوم الشريعة خلال زمن الموحدين والحفصيين:

أ- الزيارات العلمية:

نظراً لوقوع أهم المدن الليبية الرئيسية على خطوط المواصلات التي ربطت البلاد بدول المغرب والمشرق الإسلامي أو بدول جنوب الصحراء، فإن هذه الشبكة من الطرق كانت حافلة بعدة محطات للاستراحة، وفنادق للمبيت، ومراكز للبيع والشراء، وزوايا صوفية لتبادل المعارف، سار خلالها الحجاج المغاربة والرحالة والتجار الذين كان أغلبهم على درجة عالية من الثقافة والتعليم، إذ إن قوافل الحجاج كان يرافقها الفقهاء والقضاة والعدول والكتاب وغيرهم وهؤلاء جميعاً كان لهم دور مهم في إنعاش الحياة الفكرية في ليبيا وفي حل ما غمض على طلابها من مسائل شائكة، وهو ما أوضحته لنا أغلب الروايات والمصادر، مثل التجاني والشماخي والعياشي والناصري وغيرهم. فعلى سبيل المثال ذكر الشيخ الشماخي أن عمر بن يمكتن أحد علماء طرابلس لم تتح له فرصة الذهاب إلى الخارج، واستطاع أن بحفظ القرآن ويتفقه في شتى بحور العلم عن طريق الرحالين المغاربة من جميع الفئات السابقة الذين كان يلتقي بهم بقرية مغمداس الواقعة على طريق الجادة، فيكتب عنهم لوحة القرآن وينصرف، فإذا حفظه رجع من جديد إلى المحجة ويكتب ما استطاع حتى حفظ القرآن وتعلم العلم بهذه الطريقة وصار من أكبر علماء البلاد ومن ناشري العلم بها. (الشماخي، 1987م، 127/1).

أما الفقيه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الاجدابي وهو من أهم علماء ليبيا فقد أجاب عندما سئل أنى لك هذا العلم ولم ترحل؟ فقال:

" اكتسبته من بابي هوارة وزناتة"(التجاني، 1981م، ص264)، بمعنى أنه تلقى علمه عمن يفد على طرابلس من المشرق والمغرب، وكان له عناية بلقاء الوفود وركب الحجيج وإكرامهم.

والواقع أن كثرة مرور العلماء بليبيا مشرقين ومغربين قد أعطت فرصة طيبة لليبيين للالتقاء بأعلام العلماء دون رحلة ودون أن يخل ذلك بثقافتهم أو ينقص من علمهم شيئا، ومن أشهر العلماء الذين مروا بليبيا أو قاموا بزيارتها وألقوا دروساً فيها خلال هذه الفترة، الإمام المهدي بن تومرت الذي زار طرابلس وهو في طريق عودته من الرحلة المشرقية إلى بلاد المغرب الأقصى، معنياً بالدعوة لمذهب الأشاعرة مظهراً النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه، آخذاً نفسه بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع، حتى لقي بسبب ذلك أذيّات في نفسه احتسبها من صالح عمله. (ابن خلدون، 2000م، 6/ 302).

ونزل بمسجد العشرة (التليسي، 1997م، ص 35)، والتقى ابن تومرت قد التقى بطبقة العلماء وطلابهم في هذا البلد وحاول نشر عقيدته التي كان يدعو إليها وأصبحت أساس الدولة الموحدية فيما بعد.

ومن العلماء الذين عرجوا على ليبيا قاصداً الحج سنة (654هـ/ 1256م)، **أبو عبد الله عبد الكريم الغماري المغربي** الذي طاب له المقام بها، فاستقر في طرابلس فترة من الزمن، فكان بقاؤه فرصة لبعض طلاب طرابلس لينهلوا من علمه فقرأ عليه الشيخ أبو فارس عبد العزيز كتابه الذي ألفه في الفرائض وجل كتاب الكافي لابن المنمر في الفرائض أيضاً، وجل كتاب الحصار في علم الحساب. (التجاني، 1981م، ص 257).

ومن جهة أخرى، وفد على طرابلس عدد من القضاة لأجل مزاولة القضاء بها من طرف السلطة الحفصية وإلى جانب مهمتهم تلك حاولوا النهوض بالجانب الفكري وتتلمذ على أيديهم طلاب الفكر فهذا **أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري** من العلماء الأفاضل الوافدين على طرابلس وتولى القضاء فيها بعد انفصال القاضي أبو موسى عمران بن معمر الذي كلِّف بولاية القضاء في تونس، ثم توفي فيها سنة (670)هـ ، وأثناء تولي القاضي أبو العباس مهمته المكلف بها قام بإلقاء الدروس على طلبة طرابلس والقادمين إليها ومنهم الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبيد، الذي قرأ عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب وسمع من كان يتناظر به فيه بين يديه من التهذيب (الأنصاري، د.ت، ص92-94؛ التجاني، ص257).

ويبدو أن أهل طرابلس وشيوخها وطلبة العلم فيها استفادوا من دروس الغماري غاية الاستفادة فكانوا حريصين على تلقي العلوم من العلماء الكبار؛ لأن أبا العباس كان على درجة عالية من العلم حتى وصفه تلميذه صاحب الدراية بقوله" له علم بالفقه وأصوله وحظ من أصول الدين ومشاركة في علم الأدب، وكان ممن يستفاد بالنظر إليه والمثول بين يديه. وكانت دروسه منقّحة الإيراد عذبة المورد بقريب ما يستفاد". (الغبريني،1910م، ص55).

لم تكن فترة إقامة الغماري في طرابلس طويلة فيذكر أنه توفي بتونس سنة (682 هـ) (ابن مخلوف،1349م، ص201).

كما استفاد أهل طرابلس من زيارة **الفقيه أبي الجيش محمد بن إبراهيم الأندلسي** وهو من علماء الأندلس الذي اجتاز على طرابلس قافلاً من الحج وطالت إقامته بها، فأخذ عنه المهتمون بالأدب والفقه والشعر واللغة، وبالأخص أبو فارس عبد العزيز الذي قرأ عليه تأليفه في العربية وسمَّع عليه شيئاً من نظمه وروى عليه المذهبة لابن المناصف، حدثه بها عن مؤلفها. (الأنصاري، د.ت، ص94).

ومن الفقهاء الذين قدموا من المشرق **الفقيه أبو العباس الأعجمي سنة (662هـ/ 1263م)** قرأ عليه الشيخ أبو العباس بن فارس وغيره، بعض كتاب المعالم الدينية لابن الخطيب. (المصراتي،1955م، ص86-87).

كما جاء **القاضي العالم أبوعبد الله بن إبراهيم أبي مسلم القابسي** إلى طرابلس قادماً من رحلة له إلى العراق وتولى القضاء بها، ووسع نشاطه بإلقاء دروس للعلوم ومداركها، بمدارس طرابلس، ومساجدها، فشد إليه الرحال طلبة العلم لينهلوا من بحر علومه، وكان القابسي قد سبقته شهرته العلمية إلى طرابلس فقرأ عليه أبو فارس كتاب المعالم وفن الحديث بسنده ومتنه ونصف صحيح البخاري. (المصراتي،1955م، ص87).

وأما شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن اللقاني فقد كان من أبرز العلماء الوافدين على ليبيا في القرن العاشر، عاصر الشيخ زروق ولازمه خلال إقامته بمدينة مصراتة، كان حافظاً للمذهب، تتلمذ على يديه ثلة من علماء ليبيا أشهرهم عبد السلام الأسمر وكريم الدين البرموني، وعبد الرحمن بن أحمد التاجوري. (البرموني، د.ت، ص225؛ الزاوي،2004م، ص209).

ولد يوم الجمعة (15 محرم سنة 857هـ) وتوفي يوم الأربعاء في ربيع الأنوار سنة935)هـ)، ذكر البرموني (د.ت): " أنه كان عام النفع بالفتوى، وعكف عليه الناس وتزاحموا، وانفرد بإقراء مختصر خليل له تحريرات بديعة من طرزه عليه وكتب حاشية فلما ظهرت حاشية ابن غازي ووجدت موافقة لما حرره أخفاها". (روضة الأزهار، ص225).

وممن ذاع صيته في البلاد الليبية ونفع الله بعلمه أهل العلم **محمد ناصر الدين اللقاني** ذكره صاحب كتاب روضة الأزهار فقال: "دارت عليه الفتوى بعد موت أخيه... وشارك أخاه في شيوخه أقرأ العلوم على اختلافها نحو ستين سنة... لم يضف شيئاً سوى ما كتب من الطرز على التوضيح فجمعت بعد موته في مجلد فعم نفعها وشرح المحلى على جمع الجوامع وشرح على شرح السعد للعقائد وعلى شرحه لتصريف الغزى وشرحه خطبة المختصر..." (البرموني، د.ت، ص226).

كان الشيخ من أهل العلم وساهم في نشر علوم الشريعة فشهد بذلك أشهر من تتلمذ عليه الشيخ الأسمر عندما قيل له ما تقول في ناصر الدين اللقاني؟ "قال: مدينة من مدائن العلم"، وكان يثني عليه ويشير إليه في مقطعات كثيرة منها:

يابرموني يا مريدي قل الســـلام من إلى الشيخ الكبير
شيخ شيوخ العصر العرب والأعاجـــم عز الطلب والفقـير
سيدي الناصر بن حسن غوث الأنام هو اللقاني الشهـير
مفتي في الأربع مذاهب قطب إمـــــــام معدن العلم الكثـير
منزل للقوم والأرامل والأيتـام بكل علم خبـير
قائم بالحق والشريعة والإســلام سني ليس له نظـــــــير (البرموني، ص227).

وكان ميلاده سنة(873هـ) وتوفي في شعبان سنة(958هـ)، وقد رثاه الأسمر عند وفاته فقال:

يا عيني صبي دموعك يا غـبرا وابك بالدمع الغزيـري
على الإمام بن حسن شيخ القرا عز الديار والعشيـــــــر
ناصر الدين والشريعة يا فـقرا قطب الأقطاب الأمير (البرموني، ص226-227).

ب- الحلقات العلمية:

تعد الحلقات والمناظرات أو المجالس العلمية التي يعقدها العلماء وغيرهم من أهم وسائط التعليم التي ساهمت في تطور الحياة العلمية بليبيا وكانت هذه المجالس تعقد إما في الزوايا أو المساجد أو المدارس أو في منازل العلماء أحياناً وأغلبها يدور حول المسائل الفقهية وما تتضمنه من أمور خلافية تحدث بين العلماء، وقد تعددت المجالس العلمية التي عقدت في البلاد فتتحفنا كتب الرحلات بنصوص لبعض من المحاورات والمناظرات العلمية منها المحاورة التي عقدها الرحالة المغربي العبدري في طرابلس مع الشيخ ابن محمد عبد الله بن عبد السيد وجماعة من العلماء والطلاب سنة(689هـ/ 1290م) وناقش عدة مسائل فكرية معهم بل إنها كانت محاضرة مهمة صححت فيها بعض المفاهيم والمسائل الفقهية الخاطئة.(العبدري،2005م،ص186-187-188)، وأثناء وجود الرحالة التونسي التجاني بطرابلس رفقة الأمير الحفصي ابن اللحياني، عقد مجلساً علمياً كبيراً في مقر إقامة الأمير بالقصبة، وحضرها الشيخ أبو فارس عبد العزيز وكبار العلماء والطلاب، بالإضافة إلى العلامة التجاني الذي أدار الحوار والنقاش لعدة أيام، وكان موضوع الحلقة أو المجلس يدور حول شرح كتاب الاكمال للقاضي عياض والمسند الصحيح وغيره من العلوم الأخرى (التجاني: رحلته، ص255، 256).

يبدو أن العلامة التجاني وأميره الحفصي قد رغبا على اختبار الشيخ أبو فارس وكبار العلماء وأهل العلم في طرابلس في هذه الحلقة والتي على الأرجح أنها قد دبر لها مسبقاً بينهما فكان الشيخ أبو فارس نجم وفارس الحلقة؛ فنال رضاء الأمير وأعجب به التجاني وأخذ عنه.

وهذه الحلقات المعقودة قد تكشف الستار عن كثير من المسائل الغامضة وتقرب وجهات النظر بين المتناظرين وتعطى فكرة أوضح ودراسة أعمق لجميع الحاضرين ومن بينهم طلبة العلم.

ج- الرحلات العلمية:

كان الاتصال بين العلماء في طرابلس والمراكز الثقافية في كمسجد عقبة بالقيروان والزيتونة بتونس أمراً عادياً لقرب هذه البلاد بعضها من ببعض، وقد رحل بعض العلماء إلى مناطق أبعد من ذلك مثل جامعة القرويين في فاس والجامع الأزهر بمصر أو المسجد الحرام بمكة أو المسجد النبوي بالمدينة لينهلوا العلم من أكابر العلماء، فيجازون ويجيزون لمن التحق من بعدهم في هذه

المراكز وأثناء عودتهم إلى ديارهم يقومون بواجبهم في تعليم الناشئين العلوم التي استوعبوها وأضافوا إليها. (أبو فارس، 2001م، ص60).

وإذا تتبعنا تحركات العلماء الراحلين لطلب العلم لا يسعنا الوقت لذكرهم في هذا المقام؛ وذلك تجنبا للتكرار والإطالة، وسوف نعرض لرحلات العلماء كل في موضعها عندما نتعرض لجهودهم في طلب علوم الشريعة ونشرها.

المحور الرابع العلوم والكتب التي تدرس بالمراكز العلمية:

اقتصر التعليم في الكتاتيب على تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم الطالب مبادئ الكتابة والقراءة بالإضافة إلى تحفيظ المتون فيما بعد، أما المراحل الأخرى والتي تعد مرحلة متقدمة للطالب مثل الدراسة في المساجد والزوايا والمدارس، فقد كانت تدرس فيها المواد التي تعد أساسية بالنسبة لمعظم الطلبة في مختلف أقطار المغرب على عهدي الدولة الموحدية والحفصية، وتتمثل في القرآن الكريم، والحديث والفقه والنحو وغيره.

لا تعوز القرائن الدالة على مناهج التعليم خلال العصر الوسيط بالمغرب إذ كانت المؤسسات العلمية بالمدن مراكز للتعليم تقام بها الحلقات العلمية، ولا أدل على طريقة تعليم الصبيان ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط من شهادة ابن خلدون (2001م) الذي يعد من المعاصرين لهذه الحقبة بأن المغاربة كان "مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى يحذق فيه أو ينقطع دونه، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومَنْ تبعهم في ولدانهم، إلى أن يجاوزوا حدّ البلوغ إلى الشبيبة؛ لذلك فهم أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"(740/1).

سار أهل ليبيا على نسق أهل المغرب، فاقتصر التعليم على حفظ القرآن حتى يختم الطالب القرآن الكريم ثم ينتقل بعدها إلى التزود بعلوم الشريعة والعربية وغيرها.

ويمكن تقسيم المواد الدراسية والكتب تدرس بهذه المراكز والتي إلى الآتي:

القسم الأول: العلوم الدينية، وتشمل تحفيظ القرآن الكريم والتجويد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والأخلاق الدينية.

وبخصوص علوم القرآن أو القراءات السبع التي كانت تعد أصولاً لقراءة القرآن، فإن ابن خلدون يذكر أن الأقطار المغاربية اعتنت بهذا الفن وعني الناس بتلقينه لأولادهم (ابن خلدون، 2001م، 1/ 553؛ السباني، 2006م، ص563).

ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل تعمقوا في تفسيره لإيضاح معانيه، واستعانوا بكتب الزمخشري وعلى رأسها كتاب الكشاف (ابن خلدون،1/ 555؛ السباني، ص563).

أما الحديث، فكان للصحيحين البخاري ومسلم حضور فعال، وكان موطأ الإمام مالك الأكثر شيوعاً بين كتب الفقه (ابن خلدون،1/560- 568-569؛ السباني، ص564). وهو يشمل العبادات والشريعة ويحظى بعناية كبيرة من طلاب العلم، وكان يلقن للطلبة المبتدئين خاصة، وكانوا يدرسون الفقه على مذهب الإمام مالك بواسطة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، وكتاب التفريغ لابن الجلاب. (التجاني،1981م، ص256؛ السباني، ص564)، إضافة إلى هذه الكتب المقررة، كان هناك كتاب مختصر خليل وشروحه ومدونة سحنون وكتاب التهذيب للبراذعي، وشرح لفرائض مختصر خليل وفرائض التلقين وفرائض ابن الحاجب لابن القلصادي. (ابن خلدون، 1/569- 570؛ السباني، 2006م، ص564).

وأما المناهج المتعلقة بالعقيدة وقواعد الشريعة فقد كان من ضمن المصنفات المقررة التي يعتمد عليها في هذا الجانب كتاب الارشاد لأبي المعالي إمام الحرمين الشريفين. (التجاني،1981م، ص 257)، وكتاب الفرائض والشروط لابن الخطيب، وكتاب الكافي لابن المنمر في الفرائض، وكتاب الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن بن أبي علي المعروف بسيف الدين الأمدي ت (631هـ/ 1233م)، وكتاب المحصول لابن عربي، والمعالم الفقهية لابن الخطيب (التجاني، ص257،256).

القسم الثاني: علوم اللغة العربية، وتشمل النحو والصرف وعلم المعاني والإنشاء والخط والإملاء والمطالعة.

فقد اعتمدت المؤسسات العلمية على الكتب النحوية التي تعد ضرورية لفهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً، ولصيانة اللغة العربية والحفاظ عليها من الضياع، وانتشرت كتب النحو منها: الكتاب لسيبويه، وكتاب الجمل لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، والمفصل في صنعة الإعراب لمحمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري والألفية والكافية ولامية الأفعال لابن مالك، والأجرومية لابن آجروم الصنهاجي، وغنية النحاة وشرحها للقلصادي. (السباني، 2006م، ص565).

القسم الثالث: علم التصوف، وهو من العلوم الدينية التي انتشرت في هذا البلد، وبرزت من مصنفات الصوفية بالرغم من قلتها إلا أنها وجدت طريقها عن طريق كتاب المستصفى للغزالي والحكم العطائية لابن عطاء، (التجاني، ص 256؛ السباني، ص565).

القسم الرابع: علم الحساب، لما كانت الحاجة ضرورية لقسمة التركات والإرث فإن الدارسين بليبيا كانوا يقتصرون بوجه عام على المبادئ الأولية لهذا العلم فانتشر تعليم كتاب أبوبكر الحصار" البيان والتذكار في علم مسائل الغبار" في علم الحساب. (التجاني، ص 257؛ السباني، ص565)، وكذلك كتاب كشف الأسرار في علم الغبار لابن القلصادي. (القلصادي، الرحلة، ص40).

وبفضل الله ثم معلمو هذه المناهج أصبح لليبيا علماء أجلاء حملوا على عاتقهم تعليم الناشئين علوم الشريعة سواء أفي داخل البلاد أم خارجها، فأخذت علوم الشريعة تمثل مركزاً مهماً وكبيراً في الدراسات الإسلامية وصار لها فقهاء وعلماء كبار، لهم شروحهم ومؤلفاتهم.

المحور الخامس: جهود العلماء الليبيين في نشر علوم الشريعة في ليبيا خاصة والعربية والإسلامية عامة (أ- الفقه ب- التفسير ج- التصوف).

أولا جهود العلماء الليبين القارين في نشر علوم الشريعة داخل ليبيا وخارجها:

تعد طرابلس من المدن الكبيرة التي يرجع أصلها إلى العهود الفينيقية وقد تأكد دورها بظهور الإسلام بأنها قوة عظيمة في البحر المتوسط، ومن خلال تتبع تاريخها نجد أن روايات المؤرخين والرحالة العرب تشهد لها بالعراقة، والازدهار، والبروز ضمن المدن المهمة التي قامت على الساحل الشمالي من قارة إفريقية، ولأهميتها تحدث عنها الجغرافيون والرحالة والمؤرخون في مختلف العهود الإسلامية وكتبوا عنها. (البكري، 1992، 653/2؛ التيجاني،1981م، ص 237 – 247).

وقد لعبت طرابلس دوراً مهماً في تاريخ الإسلام في شمال أفريقية فقد كانت معبراً لقوافل التجار والعلماء والجيوش الإسلامية لفتح الشمال الإفريقي والعبور إلى الأندلس وفتحتها، كما كانت معبراً دائماً لقوافل الحجاج ذهاباً وإياباً فكم من عالم أشاد بفضل علماءها وإسهامهم في الحركة العلمية عبر العصور. (المصراتي،1955م، ص 13-14).

ومن خلال اطلاعي على العهد الموحدي والحفصي لاحظت أن هناك الكثير من العلماء كان لهم دور بارز في نشر علوم الشريعة في إقليم طرابلس خلال تلك الحقبة؛ لذلك تناولت في هذا البحث بعض من أقطابهم على سبيل المثال لا الحصر:

وقد شهدت حقبة القرن السادس الهجري شهرة واسعة لبعض علماء الإباضين إلا أن الفترة التي سبقت هذا القرن كان فيها المذهب الإباضي ذات شهرة واسعة، وسنذكر بعض علماء الإباضية حسب التسلسل التاريخي في الآتي:

- القاضي الناسك يوسف بن زيري أبو الحجاج:

هو من العلماء المعروفين له تأليف في الوثائق سماه (الكافي) إضافة إلى أنه من الموثقين عرف عنه تمسكه بالشريعة الإسلامية، ويتضح هذا من خلال تدخله في فض الخلاف بين رجار والطرابلسيين عندما اشتكوا إليه بأن رجار الذي احتل طرابلس سنة(540هـ)، قد طلب منهم القدح في الموحدين، فسفر بينهم وبين نائب رجار في طرابلس وأفهمه بأنه قاضٍ مكلف شرط على نفسه للطرابلسيين ألا يكلفهم بما يخالف دينهم، وهؤلاء قوم مسلمون يحرم علينا ديننا القدح في أعراضهم وشتمهم فاقتنع نائب رجار بذلك وأعفى الطرابلسيين مما كلفهم به من القدح في الموحدين. (الزاوي،2004م، ص419).

إن هذا الموقف في ظرف قاهر لا يقفه إلا صاحب عقيدة ثابتة وراسخة متمسكاً بشريعة الله ولا يخاف في قول كلمة الحق لومة لائم.

- الفقيه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي (ت: 570هـ/1174م):

كان من العلماء البارزين، كرس حياته للتأليف ونسخ الكتب، ومن مؤلفاته الشهيرة (العدل في أصول الفقه) في أربعة أجزاء بالأجوبة، وله بعض تفسير كتاب الله، وله كتاب الترتيب في علم الحديث. (الشماخي،1992م، 105/2).

- الداعية أبو الحسن على بن يخلف التيمجاري النفوسي:

هو أحد العلماء الذين لمعوا من علماء الإباضية في هذه الفترة واهتم بنشر الإسلام وعلوم الشريعة خارج حدود طرابلس فرحل إلى مملكة غانا في سنة(575هـ/1179م) ودعا ملكها إلى اعتناق الإسلام فاستجاب له. (الشماخي،1992م، 115/2).

- الشيخ يخلف بن يخلف التيمجاري النفوسي:

يرجع أصله إلى جبل نفوسة، المنتسب إلى قريبة يتميجار ورحل منها إلى بلاد الجريد (بتونس) وهو فقيه وقاض ونسابة وهو جد المؤرخ المشهور الشيخ أبي العابس أحمد بن سعيد الدرجيني، كان فقيهاً بارعاً اشتغل بالقضاء، وكانت له حلقة علمية يقيمها للطلاب في مكان سكناه. (كوردي،2008، ص 124).

هذا يبين لنا أن علماء الجبل قد صالوا وجالوا في ربوع البلدان وسفوح الجبال وعقدوا الحلقات والدروس في دور منازلهم من أجل نشر علوم الشريعة.

- الشيخ سليمان بن علي بن يخلف التيميجاري:

هو ممن برزوا من علماء القرن **(6هـ/12م)** من أفراد عائلة التيميجاري الراحلين من جبل نفوسة إلى بلاد الجريد (بتونس)، وساهم في نشر علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة (كوردي،2008م، ص 125).

- الشيخ أبو جعفر مسعود الزناتي (ت: 563هـ/1167م):

من علماء الجبل الذين رحلوا خارج الحدود إلى الجنوب الجزائري وقام بمهام تدريس علوم الشريعة وتعليمها في كل من: العطف ومليكة وخلف الشيخ أبا عيسى في المشيخة العلمية والاجتماعية والسياسية لبلدة مليكة. (كوردي، ص 126).

وهذا يدل على أن علماء الجبل قد كانت لهم جهود عظيمة في نشر العلوم الدينية خارج البلاد، وربما يرجع ذلك لقرب الجوار إذ يسهل التنقل بين المناطق المجاورة ويعد الانتشار المذهب الإباضي في هذه المناطق قد زاد من تسهيل المهمة، بينما في المناطق البعيدة نجد أهل المشرق أرسلوا إلى بعض علماء الإباضية يطلبون جمع سير الأوائل من علماء الإباضية.

- المؤرخ مقر بن محمد البغطوري:

نسبة إلى قرية بغطورة، عاش في القرن السادس الهجري وتوفي في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي درس على الشيخ: توفيق بن يحيى الجناوي، وأبي محمد المجدولي، ومن ضمن اهتماماته الفقه والتاريخ ألف كتاباً في السير والتاريخ على نمط منهاج كتب المناقب سماه: (كتاب سير نفوسه) وهذه المهمة دون شك أنه تحتاج إلى شد الرحال، وتعدد الرحلات العلمية داخل الجبل وخارجه بقصد زيارة المراكز الحضارية لطلب العلوم والمعارف وأخذ الأسانيد وتثبيت المرويات من خلال لقاءت أثمرت في مجالاتها الحركة التشريعية والفقهية والصوفية. (المصراتي، 1977م، ص 16).

وبذلك يمكن القول إن مقر بن البغطوري يعد من أبرز وأهم مؤرخي جبل نفوسة في العصور الوسطى وأهمهم الذين ترجموا لسير فقهاء علوم الشريعة وعلمائها فمن خلال مؤلفه هذا الذي فرغ من كتابته في ربيع الأخر سنة(599هـ/1202م) حافظ على جهود هؤلاء العلماء واستطعنا أن نتعرف على مصنفاتهم واسانيدهم ومروياتهم في علوم الشريعة.

- الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني:

ألف (كتاب الطهارات) وهو في العبادات كما اهتم بالتاريخ والسير فألف فيها كتاب سماه: التقيدات ومن عنوان الكتاب يبدو أنه قيد فيه معلومات عن سير أعلام الإباضية وبعض الأحداث التاريخية على غرار كتب السير المعروفة في الجبل وقتذاك، (الشماخي، 1992م،185/2؛ ليفتسكي، تاديوش،2000، ص 126).

هذه نبذة يسيرة عن بعض من العلماء الذين أسهموا في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي يتبين مدى الازدهار الحضاري الذي عرفته طرابلس في هذه الفترة بالرغم من الخمول الذي شهدته حركة التأليف فقد فتحت قريحة علماء ليبيا في إثراء المكتبات الإسلامية بالكثير من المؤلفات العلمية، التي انتشرت عن طريق المؤسسات العلمية ووسائط التعليم وترجمت إلى عدة لغات، وكان دور علماء جبل نفوسة واضح المعالم في هذا الجانب.

بانقضاء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وحلول القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي شهدت الأوضاع الثقافية تقدماً ملحوظاً واصطلح على تسميته هذا القرن بعصر النهضة الثقافية ويرجع هذا الانتعاش الثقافي في القرن السابع الهجري إلى الاستقرار السياسي خاصة بدخول طرابلس وضواحيها في طاعة الدولة الحفصية حيث أمن الناس على حياتهم وانصرفوا إلى الأعمال السلمية لذلك ازدهر العلم وكثر العلماء الذين تركوا بصمة في تأليف الكتب وإثراء الحركة الثقافية والعلمية في طرابلس. (البرغوثي،1972م، ص 491).

ومن العلماء الذين كان لهم صدى واسع في طرابلس وخارجها خلال هذه المرحلة:

- العلامة أبو محمد عبد السلام بن غالب المصراتي:

يعد العلامة أبو محمد من أشهر العلماء الذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية في تونس، فقد برع في الفقه وفروعه والتفسير والتصوف والأدب ومن اسهاماته العلمية كتاب الوجيز في الفقه المالكي، وشرح أسماء الله الحسنى، اشتهر بكرم أخلاقه، وحسن طباعه، رحل إلى تونس وبقي بها حتى أصابه المرض وتوفي هناك سنة(646هـ) وقد جاوز السبعين من عمره، (المصراتي،1955م، ص103-104).

- الزاهد أبو زكريا يحيى البرقي المهدوي:

من علماء القرن السابع، اشتهر بفقهه وعدله وورعه وزهده في الحياة أخذ عنه ثلة من العلماء، أمثال الإمام اللبيدي وأبي محمد عبد السلام المصراتي، وأبي موسى عمران بن معمر الطرابلسي، وأخيه أبي علي الحسن، وامتحن باستدعائه من طرابلس إلى تونس مع تلميذه أبي علي، ثم رحل إلى المهدية، وأقام بها إلى أن توفي سنة (647هـ/ 1249م). (ابن مخلوف، 1349هـ، ص170).

- القاضي عمران ابن موسى بن عمر الهواري:

من علماء القرن السابع الهجري، كان عالماً فقيهاً حافظاً للمذهب بصيراً بالأحكام، تولى قضاء طرابلس وإمامة المسلمين في جامعها، ثم غادر إلى تونس وتولى القضاء بها سنة (657هـ/ 1259م) حتى تاريخ وفاته سنة (660هـ/ 1262م)، (سويد،2010م، ص230).

- الفقيه أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني:

ينحدر من أسرة ليبية كانت تعيش في قرية تيمجيار بجبل نفوسة ثم هاجرت أسرته إلى الجنوب التونسي إلى شط الجريد وأقامت في نفطة، ثم انتقلت إلى درجين وفيها نشأ أحمد وإليها نسب وبها قبر سنة(670هـ/1271م). (كوردي،2008م، ص126).

ويعد أبو العباس من أشهر العلماء الذين كتبوا في الفقه الإباضي، فقد ألف كتابه المشهور طبقات المشايخ بالمغرب بناء على طلب من إباضية المشرق وليتعرفوا سير الأوائل من أهل المغرب، أرسلوا رسولاً من عمان إلى أهل المغرب، فطلب من الدرجيني ذلك فلبى لهم الطلب، وكان كتابه من جزئين، الأول نقل في أولهما تاريخ أبي زكريا، مع زيادات أضافها، شملت تاريخ الإباضية في المشرق والمغرب، ضمن في ثانيهما سيراً مفصلة لعلماء الإباضية وشيوخها حسب تسلسلهم الزمني في اثنتي عشرة طبقة كل منها تضم خمسين سنة، حتى وصل إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي. (عبد الله،2007، ص203-204؛ كوردي،2008م، ص126-127).

- القاضي الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري:

من علماء القرن السابع الذين أسهموا في إثراء الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، قال عنه التجاني: "من فضلاء طرابلس وأحد أرباب الرتب الجامعين بين رياسة الفقه ورياسة الأدب، ولد بطرابلس سنة تسع وستمائة، وقرأ بها يسراً ثم توجه مع أخيه الفقيه القاضي أبي موسى إلى المهدية، ولازما الفقيه أبا زكريا البرقي مدة وتتلمذا على يديه، ثم عاد أبو موسى إلى طرابلس وأقام أبو علي فلزم البرقي وتفقه عليه، واختص به اختصاصاً كثيراً" (التجاني،1981م، ص274- 275-276).

وأقام ابن معمر بالحضرة، وكان فقيهاً مفوهاً خطيباً لسناً، غير أن كان في لسانه فضل كثير امتحانه به والتعرض له بسببه، (الأنصاري، د.ت، ص88).

وبفضل مكانته العلمية تدرج في تولي المناصب أثناء إمارة الأمير الحفصي المستنصر فتولى القضاء في باجة وبجاية وولي العلامة الكبرى وخطة الإمعان والنظر في خزانة الكتب، إلا أن الخليفة تغير عليه فنفاه إلى المهدية، ثم ما لبث أن وقع رضى عنه بعد عام كامل ووجه الأمر بتسريحه، ولما مات المستنصر وتولى ولده الواثق من بعده استدعاه وطلب منه الإشراف على خزانة الكتب، واستمر فيها إلى أن تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبي مروان فأمر بحبسه بدار الأشراف مدة ثم أخرج (الأنصاري، ص88).

وقد عرف عنه أنه يقرض الشعر، ذكر التجاني بعضاً من روائع شعره، وكانت وفاته سنة (682هـ/ 1283م). (التجاني،1981م، ص274- 275- 276).

إن موقف القاضي الثابت في المحافظة على قول الحق وتمسكه بلسانه الصادق يدل على تضلعه في نشر علوم الشريعة والتمسك بشرع الله وسنة نبيه.

- العلامة أبو محمد محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي:

من العلماء الذين كان لهم شهرة واسعة في طرابلس وخارجها، درس في مساجد طرابلس ومدارسها، ثم ذهب لتلقي حلقات العلم في الأزهر الشريف، تربع علمه في مجال التصوف وأصول الفقه في ربوع بلاد المغرب، وذاع صيته واستدعي إلى تونس في عهد الأمير أبي زكريا، وبقي هناك حتى وفاته سنة (684هـ/ 1285م)، وترك لنا بعضاً من تصانيفه العلمية كالعقيدة الدينية، ومذكر الفؤاد في الحض على الجهاد، وجلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس (التجاني، ص273؛ الأنصاري، د.ت، ص86-87).

كما تولى بعض الوظائف وتولى الخطابة في جامع الزيتونة، وتتلمذ على يديه بعض فقهاء تونس وبجاية والأندلس وقام بالتدريس والإفتاء، ووصل إشعاع علمه إلى بقية أقطار الغرب الإسلامي (الزريقي، ص484). وقد تتلمذ على يده الكثير منهم صاحب كتاب "عنوان الدراية"، الذي قال عنه: "وظهر أمره واشتهر خبره، ووجه إليه من حاضرة تونس واستدعى للسكن بها من قبل ملك إفريقية...، فوصل مرفع القدر جليل الحضر"(الغبريني،1910م، ص64).

- الحافظ الموثق أبو العباس أحمد بن عبد السلام الأموي التاجوري:

من علماء القرن الثامن، ذكره التجاني(1981م) وعدد ميزاته العلمية والأخلاقية، فقال: " لزم سكنى طرابلس وهو أحد العدول المصَّدرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط ، حافظ الأدب والتواريخ، حسن الخط جداً، ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به فيها ثم اتصلت ملازمته لي بطرابلس مدة إقامتي بها، مولده في العشر الأواخر من رجب سنة خمس وثلاثين..." (الرحلة، ص308) ويضيف التيجاني ما نقله له الأموي عن وصف أطلقه على أهل طرابلس الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسن إبراهيم التيجاني أيام حلوله بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة ثم توجه منها إلى الحج، وذلك سنة أربع وثمانين وستمائة، وأنشده بيتين لنفسه بقوله:

لأهل طرابلس عادة من البرّ تُنسي الغريب الحميـــم
حـــلّلت بهـــا مكرهاً ثم إذا أقمت بها أبدل الهاء ميماً (الرحلة، ص258).

توفي أبو العباس رحمة الله عليه أثناء وجود الرحالة التجاني سنة ثمان وسبعمائة (التجاني، ص308؛ الأنصاري د.ت، ص95-96).

من خلال هذا الوصف الذي جاء في حديث التجاني؛ يتبين لنا مساهمة أبي العباس التاجوري في الحياة العلمية ما بين تونس وطرابلس وعرف عنه فقهه وبلاغته وحسن الخط والأدب والتوثيق ولا شك أن أهل طرابلس قد استفادوا منه ونهلوا من علمه، ولكن لم تصلنا مما وثقه عن علماء الفقه علماً أنه من طبقة الفقهاء إلا هذه الأبيات الشعرية التي تتحدث وتثني على كرم أهل طرابلس، وتعطينا صورة مصغرة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية بها.

- الفقيه العالم أبوعزيز بن إبراهيم بن يحيي:

من العلماء القارين لم يغادر جبل نفوسة أخذ العلم من مدرسة الطرميسي وكان فقيها عالما تولى التدريس في عدد من المدارس القائمة بالجبل، وله مجموعة مؤلفات منها: لقط أبي عزيز ومزيج من السير والأخبار والفقه وفتاوي النوازل التي حصلت في عصره وكانت وفاته سنة (746هـ). (حمودة،2004م، ص293).

من خلال هذا السياق يتبين لنا مدى حرص علماء جبل نفوسة على تلقي العلوم دون الذهاب في أي رحلة علمية، حين لم تتح لهم فرص فإنهم يسعون إلى أن ينهلوا من العلوم من المدارس المحلية التي تعج بالعلماء الكبار، كما يغتنمون الفرص من الزائرين من البلاد الإسلامية، لتلقي الدروس من خلال الحلقات التي تعقد في المدارس والمساجد.

- الشيخ أبو ظاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت: 750هـ/1350م):

من العلماء الذين بذلوا جهدا نافعاً من أجل العلم، كان ينتقل طول حياته على عادة علماء الجبل بين المدن والقرى مربياً ومدرساً وواعظاً ذهب إلى جربة وأقام بها، وكان عالما له تآليف كثيرة في علوم الشريعة منها: كتاب الحج والمناسك وكتاب قواعد الإسلام وقناطر الخيرات وشرح النونية في أصول الدين للشيخ أبي نصر فتح الله بن نوح (حمودة،2004م، ص293).

- القاضي أبو موسى عمران بن موسى بن معمر الهواري:

من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كان فقيهاً عالماً ذا أخلاقٍ جميلة وسيرة حميدة ومعارف جليلة، سمع الحديث من أفاضل عصره كأبي محمد بن أبي الدنيا وغيره، وكان مشهوراً بالورع متصفاً بالعدالة والتمسك بالشرع، ولي قضاء طرابلس نيفاً وثلاثين سنة، ولاشتهار فضله استدعاه الخليفة أبو إسحاق إبراهيم المنتصر الحفصي وولاه قضاء تونس عام ثمان وخمسين وسبع مائة فأظهر العدل في الأحكام حتى توفي سنة ستين وسبعمائة (التجاني،1981م، ص256-280؛ الأنصاري، د.ت، ص91- 92).

إن عدل هذا العالم الورع في الأحكام الشريعة التي يصدرها؛ يعطينا حكماً مفاده تضلعه في هذا العلم والدليل على ذلك تقلده منصب قضاء طرابلس ردهاً من الزمن ثم انتقاله إلى تونس لتولي نفس المهمة فيها أيضا.

- الفقيه أبو ساكن عامر بن علي الشماخي:

يعد من الفقهاء على مستوى العالم الإسلامي، ولد بمدينة يفرن وعرف منذ صغره بالصلاح وبعد تخرجه صار معلماً وأسس مدرسة في المسجد الكبير وأقام يدّرس بها حتى وافاه الأجل وله العديد من المؤلفات من أهمها: كتاب إيضاح في الفقه، ويطلق عليه اسم الديوان، وألف كتبا في الصلاة وفي الصوم والحج والنذور والإيمان والحقوق وألف كتابا في البيوع والقسمة والرهن وكتابا في الوصايا والهبات وتوفي في مدينة يفرن سنة(792هـ/1389م). (حمودة،2004م، ص293).

- الإمام الحافظ أبو فارس عبد العزيز عبد العظيم بن عبد السلام (7-8هـ):

وهو من العلماء الذين عاشوا ما بين القرن السابع والثامن الهجريين عُرف بالإمام الحافظ لأنه حفظ كثيراً من الحديث وما يتصل به من علوم، ولعب دوراً كبيراً في حفظ آراء القرويين (مذهب الإمام مالك) فنقلها وعلمها لطلابه في مساجد طرابلس وأشار إليه التجاني بقوله: "والقائم برسم العِلْم في هذه البلدة في ذلك الوقت، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى، حضر التيجاني درسه بمسجد مجاور لداره فرآه رجلاً متضلعاً ذاكرا بالمذهب ذكرا (الرحلة،1981م، ص254).

استفاد أبو فارس من العلماء الذين زاروا طرابلس والذين جاءوا لتولي منصب القضاء أو مارين بها للذهاب إلى مكة وأخذ عنهم المعارف، فقرأ عنهم كتباً متنوعة استفاد منها ودرَّسها لطلابه.

-الإمام أبو عبد الله محمد أحمد الزليتني:

من علماء القرن الثامن غادر إلى تونس وطلب العلم على الشيخ ابن عرفة الورغمي من أشهر علماء الزيتونة، واشتغل أبوعبدالله في دروس الوعظ حيث تولى الخطابة والإمامة في جامع الزيتونة لا ينازعه فيها أحد، عرف أبو عبد الله بصلاحه وعبادته ونفعه لجميع من يقصده له حاجة عند الأمراء أو غيرهم لا يبخل بجاهه، وكانت وفاته رحمة الله عليه في تونس سنة (808هـ/ 1405م). (الأنصاري،1899م، ص161).

هذا يعطينا صورة طيبة على أن العلماء الليبيين الذين ارتحلوا إلى المناطق المجاورة لطلب العلم قد نالوا الاحترام أينما حلوا فتولى الخطابة في هذه المنابر العتيقة لا يحظى بها إلا من كان ذو فضل وعلم مثل أبي عبد الله.

- الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليطني عرف بحلولو:

هكذا ذكره صاحب الابتهاج ثم نقل عن السخاوي قوله "ذكر تلميذه أحمد بن حاتم المغربي أنه شرح الرسالة، وانه في سنة (95) في قيد الحياة لا يقصر سنه عن الثمانين، ولي قضاء طرابلس ثم عزل عنها ورجع إلى تونس متولياً مشيخة مدارس أعظمها المنسوبة لقائد ينيل عوضاً عن إبراهيم الأخضري وهو أحد الأئمة الحافظين لفروض المذهب، قلت له شرحان على المختصر كبير في ستة أسفار على أجزاء منه حسن مفيد فيه أبحاث وتحرير، يعتني بنقل التوضيح وابن عبد السلام وابن عرفة ويبحث معهم وينقل الفقه المتين، وشرح آخر مختصر في سفرين، وله أيضاً شرحان على أصول السبكي وقفت على الصغير في سفر حسن مفيد ومختصر نوازل البرزلي في سفر، أخذ عن الحافظ البرزلي والإمام قاسم العقباني والفقيه أبي القاسم بن ناجي وغيرهم وأخذ عن الإمام زروق وغيرهم" (التنبكتي،2000م، ص127- 128).

يتبين لنا من هذا النص أن الشيخ ولد في سنة(815هـ) أي أنه من أهل القرن التاسع وعلى الأرجح من خلال لقبه أنه ولد في زليتن كما أن مسيرته العلمية تدل على مكانته بين أساطين الكبار، فقد أخذ على شيوخ أجلاء في القيروان وأخذ عليه علماء لا يقلون مكانة عنه وعن الذين أخذ عنهم مثل الشيخ أحمد زروق.

- الفقيه أبو يزيد عبد الرحمن الغرياني الطرابلسي:

من العلماء الذين غادروا من طرابلس إلى تونس وكان له صحبة بعلمائها قال التنبكتي(2000م) هو " محشي المدونة" أخذ عن أصحاب ابن عرفة كأبي يوسف يعقوب الزغبي وأكثر النقل عنه في شرح المدونة، قال عنه حلولو: له معرفة بالفقه، (الابتهاج، ص225- 226)، وبما أنه أخذ عن أصحاب ابن عرفة إذاً فهو من علماء القرن التاسع الهجري الذين ساهموا في نقل مدونة الإمام مالك وشرحها بالكتابة على حواشيها.

- الفقيه محمد الغرياني التونسي أبو عبد الله:

من أبرز المغادرين إلى تونس وكان له سجالات مع علماؤها قال صاحب الابتهاج: قال البرزلي: الفقيه العدل المدرس، وهو من معاصري ابن عرفة تنازع معه في مسألة القبطان المكاس القائل لرجل في مجاورة: أنا عدوك وعدو نبيك، فأفتى صاحب الترجمة بأنه مرتد وأفتى ابن عرفة بأنه منتقض يقتل بلا استتابة، وجرى في ذلك بحث لابن عرفة مع الآبي وغيره. (التنبكتي،2000م، ص459).

ترجم له الزاوي (2004م) وذكر أنه كان معاصراً لابن ناجي، وأخذ العلم عن عيسى الغبريني المتوفى سنة (816هـ/ 1413م). (اعلام ليبيا، ص247).

هذا يدل على أن علماء ليبيا الذين غادروا إلى تونس قد انتصبوا للفتوى وإن مقارعتهم لعلماء تونس يعني علو مكانتهم العلمية.

- الشيخ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت928هـ / 1521م):

وهو من علماء الإباضية، وله مزار تحت قبة قصية ابن مادي بجبل يفرن، بطرابلس ومن أشهر كتبه كتاب السير الذي عني فيه بالحديث عن تاريخ الفقه الإباضي وعلماء الإباضية بجبل نفوسه (سويد، ص233).

- الفقيه محمد بن على الخروبي:

ذكره الأنصاري (د.ت) بقوله: "هو العالم الفقيه الراسخ الشهير العارف بالله تعالى أبوعبدالله محمد ابن الفقيه الجليل العارف على الخروبي ولد بقرقارش وبيته بيت علم من لدن أسلافه الكرام وحضر مجالس العلم والعرفان وأخذ أساتذة مصره ومشايخ عصره، تم ارتحل إلى ثغر الجزائر الغرب وأوطن بها إلى أن مات في سنة(963هـ)". (نفحات النسرين، ص104).

كان الخروبي محققاً واسع المعرفة وله تآليف كثيرة منها "مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس" وشرح عن الصلوات المشيشية، وشرح عن حكم ابن عطاء الله، ورسالة رد فيها على ابن عمر القسطلي، وله تفسير يقع في ثمان مجلدات اسمه "رياض الأزهار وكنز الأسرار" (الزاوي،2004م، ص344) وكُناش صغير ترجم فيه لحياته، عرف باسم شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي. (الزريقي،2005، ص452).

ومن هذا السياق يتبين لنا مدى تأثير هذا العلامة الفقيه على الحياة العلمية في بلاد المغرب الإسلامي سواء أكان في المكان الذي ولد فيه أو المكان الذي غادر إليه، فأينما حط به الرحال حيث لا حدود ولا فوارق ولا موانع جعلت من هذا العالم منذ أن وطأت أقدامه بلاد الجزائر التي كانت على الأرجح سنة(916هـ) وهو تاريخ نهاية حكم الحفصيين في ليبيا، مما يعني أنه كان قد عاش دهراً وعقوداً من الزمن في ظل حكم الدولة الحفصية وهو ما جعلنا ندرجه من ضمن معالم البلاد الطرابلسية، ونترك بقية العقود الأخرى التي عاشها في ظل سلطة العثمانيين وعمله سفيراً من سفراء السلطة العثمانية إلى المرحلة المقبلة من تاريخ مكان إقامته في الجزائر.

- الشيخ عبد السلام الأسمر:

ولد الشيخ عبد السلام الأسمر في يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة (880هـ/ 1475م)، في مدينة زليتن وعاش برعاية أبويه مدة سنتين وشهرين وبعدها توفي أبوه فتولت والدته السيدة سليمة تربيته (البرموني، د.ت، ص74- 75).

بدأ الأسمر مسيرته العلمية بأن تولى عمه أبو العباس أحمد الإشراف على تربيته حيث أدخله الكتاب لحفظ القرآن فحفظه وعمره سبع سنوات على يد الشيخ على بن عثمان الفيتوري ثم أخذه عمه ليتلقى العلم على يد الشيخ عبد الواحد الدوكالي بمدينة مسلاتة وبقي بها سبع سنوات، (البرموني، ص82).

وعندما أيقن الشيخ علو كعبه ونبوغه وعلمه أجازه بقوله: "يا عبد السلام ورثت مقامي، اذهب لينتفع بك الناس، الشيخ لا يخدم شيخاً". (البرموني، ص82).

غادر شيخه بحثاً عن مشايخ العلم لينهل منهم المزيد من العلوم، ومن ثم رجع إلى مسقط رأسه وبقي إلى قرب والدته وهي مكفوفة البصر، في العام الذي قدم عليها الشيخ فمكث معها ولم يفارقها إلى أن توفيت، (البرموني، ص90).

بدأ الأسمر مسيرته بعد تكوينه المبدئي على يد علماء كبار؛ لنشر أفكاره بين الناس، ولكنها كانت شاقة وعسيرة خاصة بعد ما وجد إنكاراً من العلماء الذين أنكروا عليه طريقته واتهموه بالزندقة والشعوذة، فكلما حل بمكان وجد تشنيعاً بقدر لا يمكن أن يطاق، فقرر هجرة داخلية على مراحل ابتدأت بساحل الأحامد ثم طرابلس ثم غريان ثم في جبال القلعة بني وليد، وتضمنت كذلك رحلته رحلة خارجية إلى جبل زغوان بتونس، ولا شك أن هذه الرحلات كان لها أثرها على شخصية الأسمر وربما ساهمت في تكوينه العلمي.

أسهم عبد السلام الأسمر طول حياته التي بلغت ما يزيد على قرن من الزمن، في إلقاء الدروس والمواعظ والخطب، وكان بليغاً في القول، متقناً لعلم النحو والصرف، بالإضافة إلى ذلك تصنيفه للعديد من المؤلفات بعضها في التصوف والعقيدة منها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود، ومن أشهر مؤلفاته: الوصية الكبرى، أو(نصيحة المريدين في سيرة الأولياء الصالحين) والوصية الصغرى لمن أراد الدخول في طريقتنا مع الفقراء، والوصية الوسطى، ورسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها، والأنوار السنية في سند الطريقة العروسية، والعظمة في التحدث بالنعمة، ونصائح التقريب في حق الفقراء والنقيب، والتحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية، وأحزاب وأوراد ووظائف (ابن رابعة،2003م، ص51- 52).

توفي الأسمر بعد عطاء حافل بما يناهز بالقرن أو يزيد، كان ذلك في يوم الخميس في العشر الأواخر في شهر رمضان في سنة (981هـ) من داء القولنج الذي ألم به. (البرموني، د.ت، ص208- 210).

- المؤرخ كريم **الدين البرموني:**

ولد في مصراتة في ربيع الثاني(893هـ) وكان والده من أصحاب أحمد زروق وهو الذي جاء به من مصر إلى مصراتة، وأول ما ابتدأ تعلم الحروف والكتابة على الشيخ أبي بكر المصراتي بزاوية أحمد الزروق. ولما توفي انتقل منها إلى زاوية المحجوب، وحفظ القرآن في تسع سنين على يد الشيخ عبد الرحمن بن بركات، ثم رجع إلى زاوية الزروق وأخذ الآجرومية عن شمس الدين اللقاني، وقرأ عليه الألفية والعقائد السنوسية، ولم يفارقه حتى رجع إلى بلدة لقانة بمصر، ومكث بعدها بمدرسة الرخام بطرابلس، وبقي بها نحو سنتين، وتعلم الحساب والفرائض، والفلك. ثم رحل إلى مصر، والتحق بمشمس الدين اللقاني وأخذ عنه علوماً وآداباً إلى أن توفي، ثم ذهب إلى الحج واجتمع بكوكبة من العلماء وأخذ عنهم وانتفع بهم، ثم رجع إلى طرابلس واجتمع بالشيخ الأسمر الذي مكث عنده إلى أن وافاه الأجل، وكان في بدايته منكراً عليه، ثم أصبح من أخلص الناس له، ومن أعز تلاميذه، فكتب عنه كتاب سماه "روضة الأزهار في مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر" تعرض فيه إلى تراجم العلماء وخاصة الصوفية منهم وبعض قبائل العرب وأنسابهم، وعدد فيه أنساب الأشراف الموجودين في طرابلس، ثم أعقبه بكتاب أسماه "الديوان في مناقب نجل سليم بن عمران". (الزاوي،2004م، ص316؛ شلابي،2006م، ص253)، وله مختصر خليل من مجلدين. (التنبكتي،2000م، ص373).

ومن خلال تتبع سيرة كريم الدين البرموني نلاحظ نبوغ فكره منذ نعومة أظافره، فنجده قد أقبل على حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين ثم انتقل إلى تلقي العلوم على يد مشايخ كبار، في الفترة التي عاصر فيها حكم الحفصيين لإفريقية وقد بلغت ما يقارب ربع قرن من حياته ترك لنا فيها أهم مصدر تاريخي ترجم فيه لمشايخ ليبيا وأعيانها وإن كان مصنفه لا يخلو من بعض البدع والخرافات، إلا أنه زودنا بمادة تاريخية على بعض أعلام ليبيا من المتصوفة ومؤلفاتهم سواء أفي التصوف أم علوم الشريعة فترة حكم الحفصيين وما بعدها.

- الميقاتي التاجوري، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المغربي الشهير بالتاجوري:

ويكنى بأبي زيد، لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده، وتكاد تجمع على تاريخ وفاته وهي سنة (960هـ/ 1552م). (التنبكتي،2000م، ص263؛ ابن، مخلوف،1349هـ، ص280).

ومن خلال تتبع سيرة حياته تبين لنا أنه أقام في عدة محطات منها الحجاز بمكة المكرمة إذ كان يقصده الحجاج القادمون من طرابلس وغيرها ويحضرون دروسه في الحج منهم البدر القرافي والبنوفري وعلي بن المرحل وأبو العباس بن حميدة وأحمد بابا التنبكتي وغيرهم (ابن مخلوف، 1349هـ، ص280).

كما أقام بمصر مدرساً بالمدرسة العينية بالقرب من الجامع الأزهر، (القرافي،2004م، ص103).

كما اشتهر بأنه علامة الزمان على الإطلاق في علم الميقات، وهذا الذي دعاه إلى معالجة أوضاع القبلة واتجاهها الصحيح، حيث دار نقاش بينه وبين علماء فاس حول الاتجاه الصحيح للقبلة في مساجدها وألف في ذلك كتابا أسماه " تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين" (الزريقي، 2005م، ص92).

من خلال هذه السيرة يتبين لنا أن الميقاتي التاجوري ترك بصماته في مشرق العالم الإسلامي كما تركها في مغربة حتى تاريخ وفاته فقد ذكر القرافي(2004م)" شيخنا العالم الناسك ذو الحقيقة والطريقة علامة الوقت في علم الميقات بإطلاق" (توشيح الديباج، ص102) توفي رحمة الله عليه قرب الستين وتسعمائة.

ثانياً جهود العلماء الوافدين وإسهاماتهم العلمية في نشر علوم الشريعة:

أ- الوافدون من المغرب:

- العلامة عبدا لله التّجَاني:

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى القاسم التّجَاني نسبة إلى قبيلة تجان التي قدمت من المغرب الأقصى واستقرت في عهد الحفصيين بمدينة تونس، حيث ولد عبد الله التّجَاني ما بين (670، 675هـ/1276،1272م) وكان حياً لسنة (718هـ /1308م)، (كحالة، 1957م،39/6).

يعد التّجَاني من أشهر الوافديين المغاربة على طرابلس حيث لازم الأمير أبا زكريا وأصبح كاتب رسائله، وقد اصطحبه هذا الأمير عندما خرج من تونس عازماً على التوجه نحو جربه لاسترجاعها من النصارى الأسبان وفي نيته المضي بعدها نحو المشرق لأداء فريضة الحج، وهذا ما أثبته التجاني في رحلته بقوله: " فكان خروجي من تونس المحروسة صحبة الركاب العلي المخدومي الليمومي أعلى الله مقامه، وأطال في العز دوامه، في آخر جمادي الأولى من عام ستة وسبعمائة، وكان مراده منها القصد الأول إنما هو التوجه لأداء فريضة الحج"(التّجَاني، 1981م ، ص 4-5).

إن رحلة التّجَاني تعدّ من أشهر إسهاماته ومؤلفاته العلمية، التي غطت على كل تأليفه، وجعلت منه أحد كتاب الرحلات ومسجلي المذكرات، وصف فيها رحلته بصحبة شيخ الموحدين الأمير أبي يحيى زكريا بن الليحاني من تونس إلى شرق أطْرَابُلُس ذهابا، وحدد فيها معالم الطريق ومحطاتها وخطط المدن الواقعة عليها، دون أن يهمل ذكر العلماء والقواد والأدباء والصلحاء الذين اجتمع بهم أو سمع عنهم، لكنه سجل تسجيلا دقيقا وصادقا كل ما لاحظه من الأمور التي تتعلق بالعقائد والتقاليد والأعراف، فجاءت الرحلة صورة حية لواقع الحياة في عصره وبيئته، وعرضا مفصلا عن كل ما يهم الجغرافية والتاريخ البشري في مناطق الوطن القبلي والساحل والجريد وجربة وأطْرَابُلُس.(إسبيطة،2015م، ص207).

كما وضع التّجَاني تقييدين أحدهما على صحيح البخاري والآخر على صحيح مسلم سجلهما سنة (707هـ/1307م)، عند قراءته الحديث على الشيخ عبد العزيز السبائي في أطْرَابُلُس، وكللت هذه القراءة بإجازة منحها الشيخ للتجاني ذكر فيها شيوخه (التّجَاني،1981م، ص256؛ مخلوف، 1349هـ، ص206/1).

وبفضل ـالله سبحانه وتعالىـ وما سخره من ملكة الوصف والتقييد والتدقيق لدى التّجَاني أثناء رحلته المشهورة تمكنا من معرفة الكثير من أعلام ليبيا من العلماء والفقهاء والأدباء سواء ألوافدين أم المغادرين.

- الشيخ أبو محمد عبد الله الدوكالي:

قدم عبد الله الدوكالي من المغرب الأقصى إلى تونس في حدود سنة(770هـ) (أبو فارس،1988م، ص73) ، قادماً إليها من دوكالة (ابن يونس،2009م، ص150)، ثم حل نزيلاً بمسلاتة في أواخر القرن الثامن الهجري(ابن يونس،2009م،ص150) بسبب خلاف مع معاصره محمد بن عرفة الورغمي الذي ولد في سنة (716هـ) وتوفي سنة (803هـ) حين علم الأخير أن الدوكالي يرى عدم جواز أخذ الأجر على الصلاة، فكان لذلك لا يحضر الجمع والجماعات ولا يصلي في الجوامع في جماعة، فرماه بالزندقة، وشنع عليه (الرصاع، د.ت، ص12- 13)، وزاد من تشنيعه حتى ألب عليه الناس، الأمر الذي اضطره أن يترك تونس ويأتي إلى مدينة مسلاتة ويتخذها مقراً له، شيد فيها زاوية عرفت بزاوية عبد الله الدوكالي وذلك بجهة الزعفران، لتصبح من أعرق المؤسسات العلمية التي تدرس فيها علوم الشريعة الإسلامية (ابن يونس،2009م، ص150).

وعلى ما يبدو أن الشيخ لم يسلم من المضايقة فانتقل إلى مصر نافذاً بجلده، وكان دخوله مصر سنة(793هـ)، وبقي بها إلى أن مات بالإسكندرية، فقد ذكر صاحب الفهرست أن شيخه أبو الحسن الجياني حضر وفاته (الرصاع، د.ت، ص73).

- الشيخ يوسف الجعراني:

هو يوسف بن علي الجعراني المسلاتي الطرابلسي، من علماء مسلاتة يرجع أصله لجعرانة بالمغرب (بن يونس،2009م، ص138).

كان موجودا سنة (820هـ)، وهو مدفون بمسلاتة بقرب القصبات (الزاوي،2004م، ص420). وللشيخ الجعراني إلمام بعلوم القرآن واللسان، وله فيها عدة شروح منها: شرح القرطبية في علوم القرآن، وله شرح للآجرومية ونظمها نظماً بديعاً.

كما أن له قصائد شعرية منها: تفسير للبردة وهي لشمس الدين بن محمد بن سعيد البويصري وقصيدة للتذكير بالمصير المحتوم وفراق الدنيا (بن يونس،2009م، ص145-146).

- الشيخ محمد فاسي:

وفد من المغرب إلى طرابلس برفقة أخيه في أواخر القرن التاسع وبداية القرن العاشر للهجرة، تتلمذ عليه الكثير من أهل ليبيا، ومن أحد أقطابهم الشيخ عبد الحميد بن يربوع، الذي تفقه عن الشيخين الفاضلين في المختصر، (الزاوي،2004م، ص207).

كما أخذ عنهما الإمام محمد بن عبد الرحمن الحطاب المولود في طرابلس سنة(861هـ) المختصر، قبل أن يرتحل مع جميع أفراد أسرته إلى مكة سنة(887هـ). (الزريقي،2005م، ص462).

- المفتي عبد الواحد محمد الدوكالي:

هو عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن أبي محمد عبد الله الدوكالي (ابن يونس،2009، ص153) المغربي القرشي نسباً، المسلاتي داراً ومنشأً، المالكي مذهباً، الأشعري اعتقاداً، العروسي طريقةً. (شعيب، 1992م،1362/2).

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، بينما تذكر تاريخ وفاته ولكن على الأرجح أنه عاد برفقة والده محمد إلى مسلاتة من مصر وتوفي بها في يوم الجمعة من شهر رجب سنة(930هـ) في حين تذكر بعضها وفاته يوم الجمعة أواسط شهر رمضان فقط دون ذكر السنة (بن يونس، ص152-158).

أما حياته فقد طال به العمر بعد حوالي (130 سنة) (الأسمر،1967م، ص73) وبهذه المعطيات نستخلص أن تاريخ ميلاده يكون (930-130= 800هـ).

وأما إسهاماته العلمية فجلها نقلها تلميذه الأسمر(1967م) في وصيته إذ يقول عنه" قد كان في زمانه من كبار الشأن، ومن الرجال الأعيان، أصل الأسرار والبرهان علماً وعملاً، وأدباً واتباعاً لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وكان رضي الله عنه أوحد زمانه في الورع وفي الأحوال السنية وعلم النحو والمعقول والحديث والتصوف، وكان يقري الناس كل يوم سبع دولات إلى ما قبل صلاة العشاء الأخيرة... ويفتي على المذاهب الأربعة فكانت فتواه تعجب علماء طرابلس وتونس، وقد جاءه حوالي مائة فقيه وجادلوه وامتحنوه فأجابهم بكل علم". (الأسمر، ص71-72).

هنا يتبين لنا مدى مكانة هذا العلامة لدرجة أن فتواه تعجب العلماء وتتخطى حدود مكان إقامته وأنه كان يلزمهم بالحجة ويجيبهم بكل براعة وثقة في النفس وهذا يؤكد علو كعبه بين كبار العلماء خلال هذه الحقبة.

-الفقيه عبد الرحمن الشريف الغماري (*):

هو أحد الوافدين من جبل غمارة بالمغرب واستقر به المقام في بداية المائة التاسعة في مدينة مصراتة وسبق قدوم الشيخ زروق إليها وقبر في منطقة المقاصبة، وأصبحت المقبرة التي قبر بها تحمل اسم الشيخ، وكان الشيخ زروق يأتي لزيارة قبره وهو عائد من دروسه في زاوية المحجوب إلى مقر سكناه في التكيران، فأطلق على الطريق التي كان يسلكها اسم "الطريق الزروقية"، وكان الشيخ عبد الرحمن الغماري من أهل علم وبيته من أهل العلم حتى يقال إن نساؤه كنَّ فقيهات في الدين (**).

ليس بغريب على أهل غمارة بأن يكونوا من الفقهاء رجالاً ونساء؛ فقد عرفوا بتلهفهم للعلم والجهاد، ولاغرابة في ذلك فهم أحفاد الشيخ الزاهد العابد عبد السلام بن مشيش العلمي الإدريسي الحسني الذي دفع حياته من أجل إقامة شرع الله ومحاربة البدع والشرك، الذي انتشر في بلاد غمارة في عصر الموحديين؛ إذ استشهد في جبل العلم في سنة(625هـ) بعدما قتله أبو الطواجين الكتامي المدعي النبوة عندما دس له جماعة من اتباعه فترصدوا للشيخ وقتلوه عندما عاد من عين توضأ منها في السحر إلى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه. (الناصري،1997م،263/2).

- العلامة الشيخ أحمد زروق:

قال صاحب التذكار: هو الفقيه العلامة العارف بالله تعالى الامام الأوحد الجامع بين الشريعة والحقيقة، صاحب التصانيف المفيدة، أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي الفاسي، عرف بزروق، لقب معناه غير قائم به، وإنما هو لقب لجده، فاستمر الوصف لعقبه كما هو شأن انتقال الألقاب من الأصول إلى الفروع. (ابن غلبون،2004م، ص254).

قال عنه صاحب الابتهاج: "قال فيه الشيخ ابن غازي: صاحبنا الأود الخلاصة الصفي الفقيه المتحدث البرنسي، وبرنس بنون مضمومة بعد الراء نسبه إلى عرب بالمغرب (التنبكتي،2000م، ص131).

ومن خلال الترجمة التي ينقلها التنبكتي عن الشيخ ابن غازي وهما أقرب لعهد الشيخ زروق، يتبين لنا أن لقب البرنسي لا يعني أن أحمد زروق ينتمي لقبيلة البرانس من البربر، ربما يكون لها علاقة بوظيفة جامعي الضرائب من سكان البوادي للمخزن المريني، وكان عيسى جد زروق مكلفاً بجمع ضرائب قبيلته، ومن مراسم موظفي ذلك الوقت لبس البرنس فلقب بالبرنسي، لهذا لزم اللقب جميع أفراد الشيخ زروق طوال حياتهم. (طيب،2008م، ص11).

وأما تسميته من جهة أمه فقد ذكر زروق في رحلته أن نسبه يتصل بالمصطفى – صلى الله عليه وسلم- من جهة أم جده، قال ولكن لم أتحقق ذلك لموت أبي في مبدأ نشأتي وشرف المرء أينما هو في سلامة دينه، ولا شرف أكرم من تقوى الله "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". (ابن غلبون، 2004، ص254).

وعند تعرضه للكلام عن رضاعته من كناشته قال:" وكانت مدة رضاعتي تسعة أشهر لأمر عرض من إكمالها، وهو أن المرضعة قالت لبعض الناس هذا شريف يتيم كفلته لوجه الله". (زروق،2011م، ص33).

(*) هو عبد الرحمن الشريف الغماري: الغماري، أحمد بن محمد عبد الرحمن الشريف (1082هـ). وثيقة مبايعة لقطعة أرض الرميلة الكائنة بصور جابر بمدينة مصراتة مؤرخة في أوائل ربيع الأول عام اثنين وثمانين وألف محررة من قبل الكاتب وعليها توقيعه شاهداً، الوثيقة من الأرشيف الخاص بالباحث.

(**) الحداد عبد الله، مقابلة شخصية أجراها الباحث معه الشيخ الحداد خطيب مسجد المقاصبة وإمامه في يوم الجمعة بتاريخ يوم الجمعة بتاريخ (6 رمضان1445هـ/15مارس 2024م). من كلام منقول بالسماع الفاشي نقلا عن الشيخ محمد القريو.

ساهم الشيخ زروق في الحياة العلمية في ليبيا واختار مصراتة موطناً له، ومع مروره متجهاً شرقاً إلى الحج أو مصر في بعض فترات سابقة وقبل استقراره بمصراتة، وأثناء ترحاله كان له باع في التأليف كلما خلد أو استقر في بلد ما انشرحت قريحته للتأليف، فشرحه للحكم القضائية كتبه بطرابلس، واما السابع عشر فقد كتبه في مصراتة سنة(889هـ)، وبعض من شروحه أكمل نظمها في المدينة المنورة (طيب،2008م، ص112). وبهذا نلاحظ أن للشيخ علاقات بعلماء طرابلس قبل حلوله بمصراتة سنة (886هـ) (طيب، ص107). وبعضها كونها بعد استقراره فيها أو خلال رحلاته للحج.

وعليه فإن الكتب التي ترجمت للشيخ زروق تذكر وتحصى جملة من شروحه ومؤلفاته، وهي عديدة لا يسع المجال لحصرها، لذلك نحاول أن نورد ما أنجزه زروق في ليبيا في المدة التي قضاها في ليبيا وعلى وجه التحديد في مدينة مصراتة فنوردها هنا لأن مؤلفاته ساهمت في إثراء الحياة العلمية في ليبيا، ومن هذه المؤلفات حسب سنوات تأليفها: شرح صدور المراتب(887هـ)، وحاشية على صحيح البخاري (887هـ)، وشرح الحكم السابع عشر (سنة889هـ) وكل الشروح من بعده، ومختصر شرح الرسالة، وشرح مختصر خليل، وعيوب النفس ودوائها(888هـ) ورسالة في الحدود النحوية (889هـ)، وشرحه على عقيدة الغزالي (سنة891هـ)، وبعضها نظمها في المدينة المنورة ولكن أسسها في مصراتة، وشرح رسالة بن أبي يزيد القيرواني (896هـ). إضافة إلى بعض من المؤلفات التي لم يحدد تاريخ تأليفها مثل الدرر المنتخبة في الأدوية المجربة، والكناشة، والكشف، ونظم في عقود الأعداد مع شرحه، الروضة، وأصول الطريق. (طيب،2008م، ص112).

وهذا الإرث العلمي الكبير للشيخ زروق يرجع إلى سعة اطلاعه ومدى شغفه ومحبته للعلم وحفظ الحديث والفقه، فمن صغره التحق بالكتاتيب لكي يتعلم القراءة والقرآن.

إذاً حياة زروق كانت حافلة بالعطاء وتبادل الزيارات بينه وبين علماء ليبيا ذكر ابن غلبون(2004م) " أنه توفي رحمه الله تعالى سنة(899هـ). ودفن في مصراتة، وكان استوطنها وانخرط في سلك أهلها، وكان استقراره بجهة تكيران منها، وتزوج من أهلها من أولاد الشيخ الجعافرة، وولد له منها، وبقوا بعد موته، ثم لحقوا به عن قرب وليس له بها نسل، ومقامه مشهور، وتولى خدمته وأوقاته قوم من أهل سرت كانوا في سالف الزمن لهم نسبة بالصالحين". (التذكار، ص256).

ب- العلماء الوافدون إلى ليبيا من الأندلس وإسهاماتهم في نشر علوم الشريعة:

عددنا فيما سبق العوامل الإيجابية لهجرة إخواننا المسلمين من بلاد الأندلس إذ استقرت في مدن الساحل والداخل العديد من الأسر الأندلسية، فحظيت مدن ليبيا مثل مثيلاتها بنزوح عدد من هذه العوائل إليها، وكان من بين هذه الأسر الكثير من العلماء الذين ورد ذكرهم في كتب المؤرخين وسير التراجم، قد أسهموا في إثراء الحياة العلمية في مدن ليبيا وقراها، بلغ عددهم بالمئات، ومن هذه الأسر: الحطاب، بن زكري، الخشاب، الطاهري، الأنصاري، الطشاني، الشاعري، التواتي، الفطيسي، القرقني، الرعيني، عبد الملك، المؤدب وغيرهم، وسنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- العلامة أبو محمد، محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن محمد الرعيني أبو عبد الله:

عُرف في المصادر التاريخية بالأندلسي الطرابلسي الشهير بالحطاب، وهذا دلالة على أن أصله من الأندلس "أي بمعنى أندلسي أصلاً، وطرابلس مولداً ومنشأً، فقد استوطن آباؤه في طرابلس، ولد بها سنة (861هـ/ 1456م)، (السخاوي،1992م،288/7؛ الحنبلي،1993م،408/10).

من يتتبع السياق التاريخي لهذه الأسرة يلاحظ أن جذور وجود هذه الأسرة في ليبيا سابق للهجرة الأندلسية القسرية، التي بدأت بسقوط غرناطة وهي آخر المعاقل الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

أي بمعنى أن هجرتهم على الأرجح كانت أولى الهجرات الكبيرة التي جاءت تباعاً بعد سقوط مدن بلنسية، وقرطبة، وإشبيلية، وأغلبها كان في القرن السادس الهجري حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع الهجري، الذي سبق سقوط غرناطة (898هـ/ 1492م).

ومن خلال سيرة الحطاب الكبير التي تخللتها رحلات علمية انطلقت من طرابلس إلى الحجاز ثم إلى القاهرة ثم الحجاز ثم العودة إلى طرابلس، نلمس أن هذه التنقلات زادت تحصيله العلمي، وهذا كان له الأثر على من تتلمذ عليه من تلاميذه، فيذكره تلميذه الخروبي ويثني عليه بخير، بقوله: "ربانا أحسن تربية، وأدبنا أحسن تأديب، وكان شديد الاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مشيته، وجلوسه، وأكله، وشربه، وجميع أفعاله، ويعلم ذلك لتلاميذه، ويقول لهم : كل الخير في ذلك، وكان يعلم الناس العبادات بالقول والعمل ويتجرد أمام تلاميذه على شاطئ البحر ويبقى في مئزره، ويعلمهم الوضوء، والغسل... وكان كثير العبادة شديد الورع، عالماً صوفياً ". (الأنصاري، 1899م، ص190- 193).

ويذكر البرموني (د. ت) أنه يقال بحضرته كلام ابن القارض ويزيل ما في كلام القوم من الإشكال. (روضة الإزهار، ص236).

مما سبق يتبين لنا أن الحطاب لديه بصمات تأثير على محيطه الذي عاش فيه؛ ويكمن ذلك في الدور العلمي للحطاب الكبير في مهنة التدريس الذي مارسه في الحرمين الشريفين، وفي مدينة طرابلس، والقيام بالإفتاء في المسائل التي عرضت عليه بالإضافة إلى دوره في خدمة الوقف عندما كان مقيماً في مكة المكرمة.

- الشيخ بركات بن محمد بن عبد الرحمن "العم":

هو أصغر سناً من أخيه أبي عبد الله محمد الحطاب وقد أخذ الفقه وعلومه عن والده الحطاب الكبير كما أخذ عن غيره من العلماء، وتفقَّه على أخيه العلامة محمد بن محمد الحطاب بحسب ما جاء في كتاب شرح ألفاظ الواقفين لابنه يحيى الحطاب وقد أصبحت له مكانة مرموقة في الأراضي المقدسة ونقل عنه يحيى الحطاب بعض الفتاوى الصادرة عنه في سنة(963هـ)، وفي سنة(966هـ)، وهي التي يستدل منها أن إقامته كانت في الحجاز وله عدة مؤلفات منها "المنهج الجليل في شرح مختصر خليل في أسفار أربعة توفي بعد(980هـ)". (الأنصاري د.ت، ص 110؛ الزريقي، 2005م، ص61).

- الشيخ محمد الحطاب الصغير:

اسمه محمد بن محمد بن عبد الرحمن العريني، الأندلسي الأصل، وهو من اسرة طرابلسية عرفت بعلمائها المتميزين قطنت بطرابلس ثم انتقلت للحجاز، إذ ولد الحطاب الصغير بمكة سنة (902هـ/ 1496م)، له تآليف وشروح كثيرة في مختلف العلوم الدينية ساهم خلالها في إثراء الحياة العلمية هناك نورد منها: تحرير الكلام، في مسائل الالتزام، أي إلزام الرجل بنفسه، ومنسك الحج "هداية السالك المحتاج لبيان فعلي المعتمر والحاج"، وتحرير المقالة شرح به رجز ابن غازي في نظائر الرسالة، وتفريج القلوب، بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب، جمع فيه بين تأليفي بن حجر السيوطي وزاد عليها، والبشارة الهينة، بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة، والقول المتين بأن الطاعون لا يدخل البلد الأمين، وعمدة الراوين، في أحكام الطواعين، ومقدمة بسط فيها مسائل الآجرومية، وله ثلاث رسائل في استخراج أوقات الصلاة بالأعمال الفلكية بلا آلة من الآلات: كبرى، ووسطى، وصغرى، انتشرت الوسطى، وله مؤلف " فيما يلزم فضل على نبيينا صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنبياء والملائكة، وتفضيله عليهم"، وله مختصر إعراب خالد الأزهري للألفية. (الزاوي،2004م، ص372- 373).

وله شروح لم يكملها تركها مسودة فبيضها ولده يحيى وله حواشي وتعليقات وتآليف لم ينجزها، حصرها صاحب كتاب روضة الأزهار. (البرموني، د. ت، ص234- 235).

كان الحطاب الصغير من أكثر رجال عصره نبوغاً وحذقاً، فقد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ومما يدل على مكانة الحطاب وأسرته العلمية فقد نسخت مخطوطات الحطاب الصغير في العديد من خزائن ومكتبات المغرب وتونس. (التنبكتي،2000م، ص593-594؛ شالابي،2006م، ص293-294).

إن مكانة هذا العلاّمة لا تخفى عن رجال العلم الذين جاؤوا بعده، فأغلب الفقهاء الذين كتبوا في الفقه الإسلامي نقلوا من مؤلفاته أو أحالوا عليها في الكثير من المسائل، وقلّما تجد مؤلفاً في الفقه المالكي لم يأخذ من كتاباته، وهذا يلاحظ في كل المناطق التي تعتمد على مدرسة الإمام مالك (الزريقي، 2005م، ص 59).

يحيى بن محمد بن محمد الحطاب "الحفيد": الإمام-

هو الإمام العالم والعمدة الفاضل المعروف بالصلاح والدين المتين خاتمة علماء المالكية في الحجاز أخذ العلم عن والده الإمام محمد بن محمد الحطاب وعن شيوخ والده مثل العلاّمة أحمد بن موسى بن عبد الغفار، كما تتلمذ على عمه بركات بن الحطاب ونقل بعض فتاويه في مؤلفاته ومن تلاميذه: الشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي ذكره بقوله شيخنا بالإجازة، له مؤلف في الفقه والمناسك توفي بعد ثلاث وتسعين وتسعمائة". (التنبكتي،2000م ص639؛ الزريقي،2005م، ص 62- 67).

ومن مؤلفاته "القول الواضح في بيان الجوائح"، و" إرشاد السالك المحتاج إلى بيان أحكام المعتمر والحاج"، أعاد به ترتيب كتاب والده "هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج"، حيث صنَّف والده الكتاب، وجعل الأحكام منفصلة عن المناسك، فقام يحيى بإعادة ترتيبها ترتيباً منطقياً يبدأ من أول " المناسك، وهو " الإحرام مع ذكر الأحكام إلى انتهائه "، توجد منه عدة نسخ في المغرب ونسخه في المكتبة المركزية جامعة قار يونس ببنغازي (الزريقي،2005م، ص 64-66).

ومن مؤلفاته "حكم بيع الأحباس وكرائها"، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية، ويتعلق بحكم بيع الأوقاف إذا أصبحت خراباً ولم تعد إمكانية الاستفادة منها. و" وسيلة الطلاب لمعرفة أعمال الليل والنهار بطريق الحاسب"، وكتاب " ترتيب كتاب تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة " و" مختصر سلك الدرين في حل النيرين " و" أجوبة في الفقه " و"شرح ألفاظ الواقفين، والقسمة على المستحقين". (الزريقي، ص65-66).

- الشيخ عليّ الطشاني:

تُعد عائلة الطشاني من العائلات التي استقرت بإقليم طشانة وأصبحت من أهل الأندلس إلى أن رحلت عنها من ضمن هجرات العرب العكسية إلى شمال إفريقيا، بعد أن تغلب الأسبان المسيحيين عليهم، وطردوهم منها سنة (897هـ/ 1492م)، فما كان من خيار للشيخ عليّ الطشاني سوى الهجرة ومغادرة الديار، فترك طشانة وشد الرحال حتى حط به الرحال في تاجوراء التي طاب له المقام فيها، وذلك خلال المنتصف الأول للقرن التاسع الهجري، ونستدل بذلك من خلال الكلام عن تلميذه الشيخ عبد الكريم النفاتي الذي ذكره حياً سنة(855هـ). (التاجوري، د.ت، ص39-38؛ ابن يونس، 2009م، ص25).

استقر الشيخ في تاجوراء بمنطقة الحميدية يلقي الدروس، ويتحلق حوله العديد من الطلبة ولعل أبرزهم من ذكرهم صاحب الإشارات: "وكفى بهذا إكرامه خروج هذين السلطانين من تحت تربيته". (التاجوري،1931م، ص38-40).

وهو يقصد بقوله هذا تلميذي الشيخ علي الطشاني كل من، عبد الكريم النفاتي الذي كان سنة (855هـ)، حياً وأبي بكر التاجوري (*)، (ابن يونس،2009م، ص26).

ومما يدل على مكانة الشيخ العلمية، فقد ذكر الأسمر (د. ت)، في إحدى أراجيزه الطويل بقوله:

(*) يعرف بالشيخ التاجوري، قدم إلى تاجوراء من المغرب الأقصى، في حدود سنة(800هـ/ 1398م)، هو أبو بكر الزهري الإدريسي الحسني: ابن محمد بن سليمان عوبية بن محمد الزهري بن سليمان بن أحمد المفضل بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي، ولقبه أبو حرمة، بن محمد بن عيسى بن سليمان، الملقب (سلام العروس) بن مزوار بن علي، الملقب حيدرة بن (محمد الأمير) بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر، توفي رحمة الله عليه سنة(880هـ/ 1475م) = الإدريسي، عبد الرسول بن داري، 2018م، ص106، سيرة أعلام من الأدارسة في ليبيا، دار مكتبة الشعب للطباعة والنشر، مصراتة.

بابن أبي العطاري بالطشاني*** وبالنفاتي والقضيب الباني (السلسلة الجوهرية، ص25).
وعلى ما يبدو الشيخ من أقطاب الصوفية، لهذا ذكره الأسمر، بل يقال إنه ألف كتاباً في التصوف (ابن يونس،2009م، ص43).

– الشيخ عبد العزيز محمد الأوسي الأنصاري:

من العلماء ذوي الأصول الأندلسية، انتقل بيت عائلته من الأندلس من بلاد الثغر الشرقي عند الجلاء وغلبةُ الفونس ملك إسبانيا إلى طرابلس أواخر المائة السابعة ونسبه في الأندلس إلى أبي عبد الله محمد بن عيسى ابن بقاء الأنصاري) الأنصاري، د.ت، ص102)، وكان الشيخ فقيهاً تاجراً له حظ جليل في العلم وباع متسع في الأدب رافضاً لمغريات الدنيا ساعياً لأعمال الآخرة متجهاً إلى الله عز وجل مجتهداً في ذلك على أسقم طريق إلى أن توفي (الأنصاري، ص102).

- الشيخ محمد الأندلسي:

يعد الشيخ محمد الأندلسي أو " المندلسي" من أبرز من استوطن طرابلس، قادماً إليها من شبه الجزيرة الخضراء، بعد عمليات التهجير القسري للمسلمين الأندلسيين، بعد سقوطها بأيدي المسيحيين الإسبان سنة (897هـ/ 1492م)، وقد حط به المقام في منطقة تاجوراء التي قبر بها، ويقال هو من نقل عن أهل الأندلس الكثير من مقاطع المألوف الأندلسي إلى مناطق تاجوراء وما حولها. (شالابي،2006م، ص288).

وحقيقة هذه الموشحات قد وصلت لهذه البلاد وتأثر بها رجال الصوفية وأصبحت مقاماتها تنشد في الزوايا ويتنافس المنشدون لإلقاء القصائد الدينية بداخلها.

هذا إضافةً إلى كثير من الذين نزحوا من الأندلس سنة (700هـ) منهم الشيخ علي بن زكري، واستوطن بطرابلس، كما نزح الفقيه عبد الملك بن سعيد الذي تتلمذ على يد الشيخ زروق في مدينة مصراتة وبرز من أحفاده فيما بعد العديد من العلماء. (الزاوي،2004م، ص396-397؛ اجهان،2007م، ص230).

الخاتمة

إن المطلع على تاريخ ليبيا في العصر الموحدي الحفصي، يلحظ بكل وضوح كيف أثرت العوامل الإيجابية على الحياة الثقافية والعلمية في إقليم طرابلس ذلك الزمن، وماكان ذلك يحدث؛ لولا تشجيع الأمراء للعلم وحرصهم على دعم بناء المؤسسات، سواء أعلى حساب السلطة أم التي تبنى بمجهودات الخيرين من أهل الفضل والعلم، وهي التي لعبت دوراً مهما في بروز كوكبة من العلماء كان يزخر بهم إقليم طرابلس في تلك الفترة، كان لهم جهدهم الواضح في نشر علوم الشريعة داخل البلاد وخارجها.

النتائج:

وعليه فقد توصلتُ إلى عدة نتائج منها:

1- إن حب الأمراء الموحدين والحفصيين للعلم وتشجيعهم للعلماء أدي إلى ازدهار الثقافة في طرابلس الغرب.
2- إن لعلماء طرابلس الغرب دور كبير في نشر علوم الدين في المغرب العربي وبقية الدول الإسلامية.
3- كان للمراكز العلمية المتواضعة التي رابط بها وأسسها العلماء دور فعال في نشر العلوم فأصبحت في حقبة الدراسة مقصد العلماء من داخل البلاد وخارجها سواء ألرحالة ام المستقرين منهم.
4- وجود بعض من العلماء المغمورين أهملت جهودهم في نشر الشريعة من خلال بناء المؤسسات ودور العلم.
5- وجود حملة تشويه ممنهجة لتشويه بعض منهم لأغراض سياسية.

التوصيات:

وأمّا أهم التوصيات فهي:

1- الاهتمام بدراسة تاريخ ليبيا في جميع مراحله الزمنية حتى لا تبقى في طي النسيان ويعفو عليها الزمن.
2- تعريف الدارسين بعلماء ليبيا في ذلك الوقت والجهود التي بذلوها حتى ازدهرت الحياة الثقافة في العهدين الموحدي والحفصي.
3- كشف الستار عن المخطوطات المركونة في المكاتب الخاصة والعامة وتشجيع الباحثين على نفض الغبار من عليها.

وفي ختام هذا البحث نحمد الله عز وجل على نعمته راجيا من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إعطاء المعلومات التي تضمنها هذا البحث.

ونستسمحكم عذراً إذا وقعنا في خطأ أو سهو عن غير قصد في هذا البحث ومن الله سبحانه وتعالى نسأل التوفيق.

مصادر ومراجع البحث

- ابن أبي الضياف، أحمد. (1976م). *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك وعهد الأمان*، الجزائر: الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1984م). *الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تونس: الدار العربية للكتاب.
- ابن العماد، الحنبلي شهاب الدين أبي الفلاح. (1993م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، بيروت: دار ابن كثير.
- ابن رابعة، مصطفى عمران. (2003م). *رسائل الأسمر عبد السلام الفيتوري الإدريسي الحسني إلى مريديه*، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- ابن غلبون، عبد الله محمد بن خليل. (2004م). *التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار*، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- ابن مخلوف، محمد بن محمد. (1349هـ). *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها.
- ابن مرزوق، التلمساني. (1981م). *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن*، الجزائر: طباعة الشركة الوطنية للنشر.
- ابن يونس، مختار الهادي. (2009م). *من تاريخ الثقافة في ليبيا*، طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- أبو فارس، حمزة. (1988م). عبد الواحد الدكالي حياته وبعض آثاره، *مجلة الوثائق والمخطوطات*، نشر مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي السنة الثالثة، طرابلس (3): 73.
- إجهان علي محمد. (2007م)، *الحياة الثقافية بمصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني*، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- إسبيطة، أحمد عبد الله. (2015م). التّجَـاني ومنهجه في كتابة رحلته خطط أطْرَابُلُس نموذجاً، *المجلة العلمية لكلية التربية جامعة مصراتة*، السنة الثانية، (4):207.
- إسبيطة، عبد الله محمد. *مقابلة شخصية أجراها الباحث يوم الاثنين 14-فبراير-2000م/ 10 ذي القعدة 1420هـ*.
- حسين، خالد حسين محمود والدومي، كريمة عبد الرؤف. (2018م). الحبس على المؤسسات التعليمية بالمغرب الأدنى خلال العصر الوسيط . *مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية*، مج. 2018، (28) :7.
- الأسمر عبد السلام الفيتوري. (1967م). *الوصية الكبرى*، القاهرة: مطبعة عابدين.
- الأنصاري، أحمد بك النائب. (1899م). *المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب*، طرابلس الغرب: منشورات مكتبة دار الفرجاني.
- الأنصاري، لأحمد بن الحسين النائب. (د.ت). *نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان*، القاهرة: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
- البرغوثي، عبد اللطيف محمود. (1972م). *تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني*، بيروت: منشورات الجامعة الليبية، دار صادر.
- البرموني، كريم الدين. (د. ت). *تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار*، القاهرة: مكتبة زهران.
- البغطوري، مقرين بن محمد. (2009م)، *سير مشايخ نفوسة*، مؤسسة توالت الثقافية.
- البكري، أبي عبيد الله. (1992م)، *المسالك والممالك*، تونس: الدار العربية للكتاب.
- البكري، أبي عبيد. (د.ت). *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك*، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد. (1981م). *رحلة التجاني*، تونس- ليبيا: الدار العربية للكتاب.
- التليسي، بشير رمضان. (1988م)، *الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي*، الرباط: الشركة المغربية للطباعة والنشر.
- التليسي، خليفة محمد. (1997م). *حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب*، ط3، تونس: الدار العربية للكتاب.
- التنبكتي، أحمد بابا. (2000م). *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، طرابلس: منشورات دار الكاتب العربي.
- الحامي على. إمام مسجد زاوية أبو ماضي، *مقابلة أجراها الباحث معه يوم الثلاثاء 25- مارس-2003م/ 22- محرم 1424هـ*.
- الحداد عبد الله. إمام وخطيب مسجد المقاصبة، *مقابلة أجراها الباحث معه نقلا عن الشيخ محمد القريو يوم الجمعة بتاريخ 6 رمضان1445هـ/15مارس 2024م*.
- الحربي، محمد أبوراس. (1960م). *مؤسسة الأخيار في أخبار جربة*، تونس: المعهد القومي للأثار والفنون.
- الحوات، علي. (1991م). نشأت وتطور التعليم العالي في الجماهيرية، *مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس* (8):292-293-294.
- الدالي، الهادي المبروك. (2001م). *مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن13-15م صفحات من تاريخ العلاقات العربية الإفريقية*، بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري. (د.ت). *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تونس: نشر المكتبة العتيقة.
- الدرجيني، أبي العباس أحمد بن سعيد. (1974م). *طبقات المشايخ بالمغرب*، البليدة: حققه وطبعه: ابراهيم طلاي.

- الرجيبي، نزيهة أبو القاسم. (2009م). *الهجرات الأندلسية وأثرها على منطقتي تونس وليبيا في الفترة من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي*، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية.
- الرصاع، أبي عبد الله محمد الأنصاري. (1967م). *فهرست الرصاع*، تونس: المكتبة العتيقة.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (1981م)، *مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير*، ليبيا تونس: الدار العربية للكتاب.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (2004م). *أعلام ليبيا*، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسين. (1980م). *تاج العروس من جواهر القاموس*، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
- الزريقي، جمعة محمود. (2005م). *تراجم ليبية، دراسة في حياة وأثار بعض الفقهاء والأعلام في ليبيا قديما وحديثاً*، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- السباني، صالح الصادق. (2006م). *ليبيا اثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية*، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.
- السخاوي، شمس الدين محمد. (1992م). *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، بيروت: دار الجيل.
- الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد. (1987م-1992م). *السير*، عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.
- الشيباني: عمر محمد التومي. (2001م). *تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا*، طرابلس: إدارة المطبوعات والنشر، منشورات جامعة الفاتح.
- الصنهاج، عبيد الله أبو القاسم بن علي بن عبدالمولى شرف الطرفين الصنهاج. (1145هـ). *إيضاح الإيضاح والصلاح صحَّ*، مخطوط بمكتبة الباحث.
- العبدري، أبي عبدا لله محمد بن محمد. (2005م). *رحلة العبدري*، ط2، دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر.
- العربي، السنوسي الصادق. (2008م). دور الكتاتيب وأهميتها في البلاد الليبية زاوية الدوكالي وشيخها منصور السنوسي الأنذاري، بحث مقدم إلى أعمال الندوة العلمية الرابعة بعنوان: *الكتاتيب والزوايا واعلام تحفيظ القرآن الكريم*، مركز جهاد الليبين، طرابلس يوم الأربعاء 1999/1/6م.
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد عبد الله. (1910م). *عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، الجزائر: المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه.
- الغماري، أحمد بن محمد عبد الرحمن الشريف(1082هـ). *وثيقة مبايعة لقطعة أرض الرميلة الكائنة بصور جابر بمدينة مصراتة*، الوثيقة من الأرشيف الخاص بالباحث.
- القرافي، بدر الدين محمد بن يحي. (2004م). *توشيح الديباج وحلية الابتهاج*، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- القلصادي، أبي الحسن علي الأندلسي. (1978م). *رحلة القلصادي*، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- المجدوب، عمر ميلاد. (2008م). الكتاتيب والزوايا واعلام تحفيظ القرآن الكريم بمدينة زليتن، بحث مقدم إلى أعمال الندوة العلمية الرابعة بعنوان: *الكتاتيب والزوايا واعلام تحفيظ القرآن الكريم، مركز جهاد الليبين*، طرابلس يوم الأربعاء 1999/1/6م.
- المزيني، صالح. (1994م). *ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية في مصر*، ط2، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.
- المصراتي، علي مصطفى. (1955م). *أعلام من طرابلس*، طرابلس الغرب: مطبعة ماجي.
- المصراتي، علي مصطفى. (1977م). *مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم*، طرابلس: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- المغراوي، أبو عبيد الله محمد الشريف بن الشريف عبد الله (1130هـ). *أنساب الأشراف الأدارسة*، في نسخة تم مقابلتها من مخطوط عبيد الله الشريف عبدا لله بن الشريف الصنهاج، مخطوط بمكتبة الباحث.
- المغربي، محمد مصباح، والمجري، امحمد الصغير، وعبد الجليل علي أحمد، والشقماني، محمد علي. (2008م). زاوية المحجوب بمصراتة تاريخ وأصالة، بحث مقدم إلى أعمال الندوة العلمية الرابعة بعنوان: *الكتاتيب والزوايا واعلام تحفيظ القرآن الكريم*، مركز جهاد الليبين، طرابلس يوم الأربعاء 1999/1/6م.
- الناصري، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد. (1997م). *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية*، الدار البيضاء: دار الكتاب.
- زروق، أحمد الفاسي. (2011م). *فوائد من كناش زروق*، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سحنون، بن محمد. (1972م). *آداب المعلمين*، تونس: دار الكتب الشرقية،
- سويد، حنان محمد علي. (2010م). *ليبيا خلال العهد الحفصي*، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية الجماهيرية.
- شعيب، عمران عبد السلام. (1992م). عبد الواحد الدوكالي حياته نشأته نسبته، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات بعنوان: *الوثائق والمخطوطات في ليبيا واقعها وآفاق العمل حولها*، كلية الآداب، زليطن، 1988م.

- شلابي، سالم سالم. (2006م). *المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب*، ليبيا: منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والاعلام.
- طيب، محمد. (2008م). *الشيخ أحمد زروق محتسب العلماء والأولياء*، ط2، مصراتة: دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر.
- عبد اللطيف، أيمن السيد، (د.ت)، *الحياة الثقافية في المغرب الأدنى في عهد الدولة الزيرية* (361- 543هـ/ 973- 1148م)، المكتبة الإلكترونية العراقية، العراق.
- عبد الله، أحمد مسعود. (2007). *التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي*، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- عمر، أحمد، مختار. (1971م). *النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي*، طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية.
- كحالة، عمر. (1957م). معجم *المؤلفين*، دمشق: دار إحياء التراث العربي.
- كوردي، محمود حسين. (2008م)، *الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي من القرن 2-8هـ/8-14م*، بنغازي: دار الكتب الوطنية.
- لطيفة بسام بن محمد. (2001م). *الحياة العلمية في عصر بني زيري*، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- ليفتسكي، تاديوش. (2000م). *المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية*. (ترجمة: ماهر جرار وريما جرار). بيروت: دار الغرب الإسلامي، (تاريخ النشر الأصلي1961م).
- محمد الباجي بن مامي. (1988م). مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني، *المعهد الوطني للتراث، مجلة* المؤرخ العربي، تونس (34): 282.
- معمر، على يحيي. (1964م) *الإباضية في موكب التاريخ*، الحلقة الثانية، القاهرة: مكتبة وهبة.